روايات غادة

باربره كيتفي

ظلام قلب

www.elromancia.com

مرمورية
للعلم
بيروت - لبنان

غادة

ظلام قلب

المؤلفة باربرة كينغ

وجدت سيلفيا نفسها تواجه خطراً على يد رجل لا تعرفه.. فقد ظنها ادوارد سيفير امرأة اخرى، كان كل همه أن ينتقم منها.. مع ذلك فقد تحول كل كرهه لها إلى حب جارف حين اكتشف الحقيقة.. ولولا سرّ دفين في صدرها، لباحت هي الأخرى بحبها له.

بالرغم من طلبه الزواج منها، إلا أنها فضلت الابتعاد.. وحتى في الابتعاد لم تستطع أن تنساه..

فإلى أين المصير؟

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظمني للنشر والتوزيع
تلفون ٢٧٢٧٨٩٩

- ١ -

طائر البحر

لم تكن سيلفيا قد زارت فرنسا من قبل، ولا تعرف أن «كاليه» بالذات هي نقطة عبور بين أوروبا وانكلترا عبر بحر المانش. في الواقع لم تكن سيلفيا قد ابتعدت من قبل إلى خارج حدود المملكة المتحدة، التي وجدت أن منتجعاتها الشعبية أكثر اهتماماً لها من المنتجعات المدونة على شاطىء المتوسط.. إضافة إلى أنها لم تكن تنظر بحماس إلى الخروج في كل عطلة أو مناسبة اوعيد إلى خارج البلاد لقضاء عطلة. والفارق أنها كانت تتمكن دائماً من إكمال عطلتها بهدوء وسهولة، متجنبة أية إثارة لا لزوم لها.

المكان لا شك بعيد.. ولاورا محقة في هذا.. بعيد وغير مألوف.. وجميل جداً دون ادنى شك.. بالرغم من الطرقات

الضيقة والمنحدرات المرتفعة التي تجعلها خائفة من الارتفاعات أحياناً، ومنظر البحر الهائج الذي لاح لها من الاسفل كان واسعاً أزرق اللون أكثر مما تصورت.

حين فتحت نافذة السيارة المؤجرة، أحست أن الهواء مليء برائحة الملح وبارد، فاغلقت النافذة من جديد.

هنا الامر مختلف.. وظروف مجيئها الى هنا مختلفة.. أنها هذه المرة هاربة. وسرعان ما عرفت أن هناك أماكن لا زالت السيارة فيها ضرورية.. فالقرى التي مرت بها منذ نزولها من كاليه الى ان وصلت هنا لم يكن فيها ما يحتاج إليه السائح... وأحست أنها متطفلة، أنها تمر في أراضي خاصة نحو عالم هي فيه المتطفلة الوحيدة.. عالم متحفظ متباعد غريب يبعد عن المدينة قدر الامكان.

من الغريب التفكير أن لاورا سيڤير ولدت هنا.. ليس في كاليه، بل في هذه البقعة البعيدة عنها، من صياد فرنسي، وامها إبنة صياد إنكليزي، من الناحية الاخرى للمانش، عاشت وتربت، حتى أصبحت إمرأة مكتملة هنا، يمكن لها أن تترك هذا الميناء الهادي، موطن أبيها، لتجذبها أضواء لندن، حيث أصبحت اشهر عارضة أزياء تتهافت الدور جميعاً للتعاقد معها؟

ارتعدت سيلڤيا.. مسكين جان! لا بد أنه مر بجحيم بعد أن تركته لاورا، لترتبط بصديقه المصور جون لايسي.. كان الموقف مذلاً ورهيباً.. وتذكر كيف استسلم للأمر الواقع،

وكيف توسل الى لاورا كي تعتبر بيته (الباتروس) دائماً كبيتها.. صحيح أنها لم تنفذ ما أشار إليها به.. ففي خلال السبع سنوات منذ تركها له لم تشاهده سوى مرة واحدة، وبناء على إصراره حين كان في المستشفى، يستعيد صحته من الحادثة التي سلبتة بصره..

اصابع سيلڤيا الرقيقة إرتجفت فوق المقود حين لاحت لوحة تحذرها أنها لا تبعد كثيراً عن (الباتروس) إهدأي.. أنه مجرد منزل. منزل، وحسب قول لاورا، له مناظر خلابة لبحر المانش.. منفرد وحيد، هادىء.. ملاذ كامل، تستطيع فيه أن تضمد جراح عواطفها المشتتة، مع الاحساس الواثق أن أحداً ممن يعرفها لن يتوقع أن تكون قد سافرت الى فرنسا والى هذا المكان الثاني بالذات.

كانت هذه فكرة لاورا بكل تأكيد، قالت أن المنزل فارغ وغير مستخدم. فقد تخلى عنه جان منذ سنوات ليعيش في جو أكثر دفئاً حيث ورث عن عم له ڤيلا في الجهة الاخرى من فرنسا وعلى شاطىء المتوسط.

كانت سيلڤيا تعرف أن عائلة سيڤير كانت عائلة فرنسية ثرية.. أموالها تمول عدة مناجم في المنطقة إضافة إلى مناجم أخرى في انكلترا، لكن هذه الاستثمارات لم تعد ذات قيمة كما كانت قبل الحرب. وهكذا كان زواج لاورا، البنت الكبرى في عائلة من سبعة اولاد، من جان سيڤير، إنجازاً مهما. ولا بد

أن الرجل اندوخ بجمال لاورا، فهو كان أكبر منها بعشر سنوات، وأكثر منها حنكة في الحياة.

أخذت الطريق تتعرج حول رأس مرتفع من الارض. تحت محرك «الرينو» كانت الارض تتحول الى صخرية وعرة.. وأحست سيلڤيا بالامتنان أكثر، لمهما كانت دوافع المرأة لتعرض عليها إستخدام هذا المنزل لأسبوعين لو ارادت.

صلة سيلڤيا بلاورا سيڤير كانت صلة غريبة... كمديرة لأحد دور الازياء، لم يكن لدى سيلڤيا فرص كثيرة للقاء العارضات، لكن جون لايسي، المصور المتعاقد مع لاورا كان إبن خالٍ لوالدها، وأحياناً حين يحتاج ضيف لحفلة عشاء كان يدعوها لموازنة العدد. وفي أحد هذه المناسبات تعرفت على لاورا سيڤير. ومهما كانت الاسباب التي جعلت منهما صديقتان، وسيلڤيا تصغرها بسبع سنوات فقد أصبحت موقع ثقتها، واحبتها سيلڤيا، مع أن تدخلها في حياتها لم يكن أمراً مرحباً به دائماً. مع ذلك كانت هي من كشفت بسيلڤيا حقيقة تشارلز، وهي من رتبت لها أمر هروبها لوحدها لفترة قصيرة.

بدا لها بداية أن تشارلز واثق من نفسه جداً، ومن حبه لها، وعبر لها عن حبه عشرات المرات.. حتى أنهما بحثا أمر الزواج جدياً.. لكن لاورا ذكرت أمامه عرضاً، أن سيلڤيا تعاني من حالة قلبية، فبدأ تشارلز فجأة يختلق الاعذار ليبتعد عن لقائها..

بضع نقاط من المطر اغشت الزجاج أمامها.. فرمت

بافكارها المؤلمة جانباً، وركزت على الطريق أمامها كانت الطريق تهبط الآن، هبوط حاد خطير نحو مجموعة من الأكواخ الريفية بدت وكأنها معلقة على طرف الجرف الصخري المرتفع فوق جون مجرى صغير... الى الأقرب تمكنت من رؤية جدار ميناء، وقوارب صيد راسية الى جانبه، ثم بدأت الطريق ترتفع صعوداً من جديد نحو لسان ارضي داخل البحر، شاهدت من خلال المطر، منزلا يقف لوحده دون ما يحرسه.

ادركت أن هذا لابد وأن يكون «الباتروس» التفكير به محى كل اكتئابها السابق.. لقد وصفت لها لاورا المنطقة بالتفصيل، وها هي تتطابق مع وصفها، بالعزلة والكتآبة.. لكن ما لم تخبره لاورا لها، هو حجمه، ومظهره الرهيب.. وحدقت بخوف بجدرانه الحجرية الخشنة الصلبة التي ارتفعت فوقها.

مدخل حجري قاد الطريق الى ممر داخلي مكسو بالطحلب يصل الى المنزل. واستدارت سيلڤيا عند زاوية حادة، لتضع قدمها على المكابح فوراً... فهذا ليس النوع من الامكنة التي يستطيع المرء فيها قضاء اسبوعين في خلوة. هذا ليس بالكوخ الريفي حيث يستطيع المرء فيه استعادة هدوء نفسه.. أنه عاصمة ريفية، تجمع لعائلة، نوع من الأمكنة يحتاج الى عشرة خدام على الأقل لتنظيفه من الغبار فقط.. لاورا حين اعطتها المفتاح صورت لها منزلا من حجم معقول.. وجهزت سيلڤيا نفسها بكيس للنوم لاستخدامه الى أن تنظف المكان وتهوي

الفراش وما الى ذلك. لكن كل هذا يبدو سخيفاً الآن.. لاورا قالت أن سيدة تدعى كوزيت، تحضر من حين الى آخر تفتح النوافذ وتهوي الداخل، لكن بتطلعها اليه من السيارة شكت سيلفيا كثيراً بصحة المعلومات.. أيمكن لأحد أن يفتح مثل هذا المكان لمجرد التهوئة؟

أيمكن لشخص واحد أن يفعل هذا؟ لا بد أن فيه الكثير من الغرف.. غرف استقبال، غرف الجلوس، غرف طعام، غرف نوم...

نظرت بقلق الى ساعتها الرجالية.. لقد تجاوزت الخامسة، وسرعان ما يهبط الظلام خلال ساعتين... ومع أنها لا تنظر برضى الى عودتها الى أقرب بلدة فوق هذه الطرقات وفي هذا الطقس، فأن توقعها لقضاء ليلة وحيدة في هذا المنزل القاتم لم ترق لها.

نظرت الى خلفها لترى كومة الحقائب التي امتلأت بها مؤخرة «الرينو» وانتشرت على الأرض كذلك. اضافة الى كيس النوم والوسائد هناك حقائب الملابس والشراشف النظيفة، اضافة الى طعام يكفي لأيام... كذلك حقيبة الاوراق التي تحوي اوراقها الخاصة، ومسودّة كتاب تحاول كتابته عن مغامرات للأطفال... أنه يحتاج الى كثير من العمل.. وخططت لأن تعيد كتابته وتصحيحه خلال اسابيع الحرية التي حصلت عليها.. أنه هدفها، ووسيلة خلاصها وربما، بوجود

كتاب منشور يدعمها، ستصبح أكثر ثقة بنفسها وبمستقبلها.

لو عادت الآن، لن تتمكن من إعادة كتابة قصتها. انها واثقة من هذا.. لو عادت الى انكلترا، فالعمل سيطغي عليها، مهما كان رئيسها متفهماً وسماحه لها بأن تأخذ عطلتها باكراً. ثم هناك امكانية أن تستسلم وتتصل بتشارلز، وتخسر بهذا ما تبقى لها من إحترام للنفس.

فجأة، تلاشت العاصفة كما ظهرت، وظهرت شمس رطبة من بين الغيوم... أنه مطر نيسان... القسم العلوي من المنزل كان بادياً لها من خلال اشجار الصنوبر التي تحد الممر. وباندفاع قررت أن تلقى نظرة عن كثب. فمن البلاهة المجيء كل هذه المسافة دون التفرج في الداخل. وبظهور الشمس الآن لم يعد منظر المنزل مرهباً. بل العكس، فقد تمكنت أن ترى أن «الباتروس» مع بعض الاهتمام والعناية سيصبح مكان سكني أكثر جاذبية. واستطاعت أن تتصور إحساس لاورا أول مرة دخلت فيه المنزل كسيدة له.

الممر كان له انعطاف بسيط يحجب بقيته عن الانظار بحدة. والمنزل الامامي للحرس كان فارغاً وهناك من كسر عدة نوافذ فيه، ربما الاولاد من القرية المجاورة، لكن المنزل نفسه كان ناجياً من أي ضرر.

الستائر كانت مقفلة على كل النوافذ الامامية، وكأنها تمثل واجهة حراسة ضد الدنيا كلها... من المخجل أن لا احد

يستطيع أن يعيش هنا. . . وتساءلت عما اذا كان هناك أي شيء قابض للنفس أكثر من منزل فارغ.

شدت كنزتها الصوفية على رقبتها تحس بدفئها، ثم فتشت حقيبتها لتجد المفتاح الذي اعطته لها لاورا.

الباب الثقيل تحرك الى الداخل بسهولة مدهشة فوق المفصلات حال أن ادارت المفتاح في القفل، دون صرير أو صوت كما كانت تتوقع. بإبتسامة سخرية على حماقتها، لاحظت ان الشمس تتسلل عبر الستائر التي تقفل النوافذ على جانبي الباب، فاقفلته دون خوف من ان تواجه العتمة. لكنها فتحت احد الستائر ماأن اقفلت الباب، واخذت تنظر حولها بفضول أكثر من أن تكون واثقة.

كانت تقف في ردهة المنزل، لها سقف مرتفع جداً، بقنطرة فوق رأسها. . أمامها مباشرة، سلم مزدوج يصل الى سفرة متوسطة تصل الى الطابق الاعلى. وخلال أشعة الشمس المليئة بذرات الغبار شاهدت صورة رجل في مواجهة سفرة الطابق الاول، الى اليمين واليسار ابواب مغلقة تدل على غرف الجلوس والاستقبال. بينما بين السلمين خزانة مربعة من السنديان تشع بالعتق ومرور السنين. . . تشع. . .؟

اغمضت عينيها ثم فتحتهما وكررت هذا أكثر من مرة. . أنها لم تلاحظ من قبل. . لكنها فكرت الآن. . المكان نظيف بشكل مدهش بالنسبة لمكان لا يعيش فيه أحد. وتطلعت الى

الارض الخشبية المصقولة تحت قدميها. . كانت مكسوة بالسجاد من مختلف الالوان. . . ولاحظت أن الارض تحتها لماعة نظيفة، والرائحة الخفيفة التي تصاعدت لانفها كانت رائحة شمع التلميع.

تصاعد احساس بالقلق الى نفسها. . أما أن تكون السيدة كوزيت جديرة بالثقة، أو أن لاورا مخطئة في ان المنزل غير مأهول. . . ماذا لو كان جان. . مثل طليقته، عرض المنزل على صديق؟ ماذا لو أن الساكن الحالي هو الآن في الخارج يزور صديقاً آخر أو يتسوق. . .؟ أم أن هناك فرصة ولو بعيدة في أن يكون جان نفسه قد عاد؟

خفت ضربات قلبها قليلاً، وحاولت التفكير بروية. . لاورا تعرف أنها قادمة الى هنا، فما هو منطقي أكثر من أن تتصل بالسيدة كوزيت كي تحضر لها المكان؟ لا بد أن هذا هو التفسير الوحيد. . . وهو تبرير يكفي لقرارها بالدخول وتفحص المكان. . فلو عادت دون دخول المبنى، لما كانت عرفت المشقة التي تكبدتها تلك السيدة بسببها. . . واحتوتها موجة دفء نحو لاورا. . لطف منها أن تفعل كل هذا لها.

ـ إذن لقد جئت أخيراً لاورا!

الصوت المليء بالرحوبة الذي سمرّها في موضعها، جاء من الباب المفتوح عن يمين الردهة، إنه باب مكسو بالجلد يدل على ما وراءه. . مكتبة، أو غرفة مطالعة.

الضوء الخافت من وراء الرجل بالكاد كان ينير شكله الثابت في مكانه... لكنه بدا طويلاً، بجسد نحيل، وشعر اسود املس يتدلى بنعومة من فوق جبينه.. لكن قسمات وجهه لم تكن واضحة.. كانت قد شاهدت صورة لجان سيفير، لذلك لم تشك أن هذا هو... تدل عليه وقفته دون حراك، ونظارته السوداء.وواقع ان الستائر كلها مغلقة... فماذا يريد رجل أعمى من نور الشمس؟

لكن ماذا يعني بقوله: إذن لقد جئت أخيراً لاورا؟ ماذا يعني؟ هل أرسل بطلبها؟ هل إتصل بها يطلب مقابلتها؟ إذن ليس هي مَن مِن المفترض أن تقف هنا، بل لاورا.. ولكن تنكر أنها لاورا ستكون كمن يمزق لجان سيفير احترامه لنفسه.. كيف يمكن لها ان تقول له أن لاورا ارسلتها هي الى هنا؟ كيف يمكن لها ان تعترف أنها كانت مجرد وسيلة للعبة تلعبها لاورا.. فبمرور الدقائق، أصبحت أكثر إقتناعاً أن المرأة الاخرى كانت تعرف ان زوجها السابق ينتظرها في المنزل... لكنه اعمى ضحية ليأسه، ومضت سبع سنوات منذ افترقا...

ـ لاورا..

عليها ان ترد.. يالله.. ماذا تتوقع منها لاورا أن تفعل؟ همست بتوتر:

ـ جان؟

وسمعت تنهيدة الارتياح، فتابعت:

ـ كيف حالك؟

ـ وكيف أبدو لك؟

واضح ان صوتها المتحشرج لم يكن واضح له.. فماذا ستفعل الآن؟ اتعلن عن نفسها، ام تغوص في اعماق هذه الخدعة؟ لقد عانى جان سيفير الكثير.. فهل تستطيع حقاً ان تمنع عنه معاناة المزيد؟ لماذا ارسل بطلب لاورا؟ ماذا يريد ان يقول لها؟ ولماذا لم تقل لها لاورا هذا؟ كانت تعلم ان جان هنا.. وتعلم أنه يتوقعها، فارسلتها مكانها. وهي تعلم ان سيلفيا في حزنها قد يدفعها اشفاقها ان تتجاوب مع عجز هذا الرجل.

ردت عليه:

ـ تبدو لي جيداً.. جان.. أنا...

قاطعها:

ـ لطف منك المجيء. كنت اتساءل عما اذا كنت ستجيء ام لا.. فلك حياة مليئة بالعمل... أنها مختلفة جداً عن حياتي..

جف فم سيلفيا.. في الخارج استطاعت رؤية الغيوم تتجمع من جديد.. وفجأة بدا لها وضعها المحفوف بالمخاطرة متعذر الدفاع عنه. فتراجعت خطوة الى الوراء. وكأن جان سيفير احس بذعرها، فتقدم خطوة:

ـ ارجوك.. هل لك بدخول المكتبة، ستتناول القهوة قبل

www.elromancia.com

العشاء. ومن السهل أكثر الحديث في محيط أقل رسمية.

- اوه.. لكن...

نظرت سيلڤيا مرة اخرى خارج النافذة.. لا يمكنها البقاء هنا، لكنها كذلك لن تستطيع الخروج دون ان تثبت أن لاورا قد استغفلته مرة اخرى... ربما لا يتوقع منها البقاء.. بكل تأكيد يعرف أن لاورا لن توافق على البقاء في المنزل معه لوحدهما. ربما دعوته كانت للعشاء فقط، فرصة لهما للكلام حول.. حول.. ماذا؟ الايام الماضية؟ صعب.. عملها؟ وهذا صعب كذلك... عن طلاقهما؟ أجل.. ربما يريد جان الطلاق... ربما لأجل فتاة اخرى.. سيدة جديدة للقصر لا رغبة لها سوى العناية بزوجها وانجاب الأطفال له.

- لاورا.

أصبح الآن اقرب اليها، وفي النور الخفيف من النافذة، استطاعت رؤية عينيه خلف النظارة.. كانتا عينان جميلتان تحت رموش طويلة. لكنهما عينان ثاقبتان، وهي تعرف أنهما لا تريانها، بدتا لها تنفحصانها. وجهه كذلك كان شديد السمرة.

في عنقه سلسلة ذهبية يتدلى منها شكل اسطواني ربما احد تلك القلادات التي تستخدم للتعريف عن صاحبها.. وفي يده خاتمان خاتم ذهبي، كالختم، وتعويذة مسطحة من النحاس.. ومع أنه كان يشابه الصورة التي شاهدتها لجان، إلا أنه شخصياً بدا لها مثيراً للقلق بطريقة ما. وبدأت تفهم لماذا تشوقت لاورا

لأن تكون زوجته... وتعجبت لذلك الطموح الذي دفعها لتتركه. صحيح أن جون لايسي رجل وسيم، لكنه لا يمتلك أبداً جاذبية هذا الرجل القوية.

- تعالي...

مد لها يده. فتجنبتها وقطعت الردهة نحو باب المكتبة. توقفت لحظة قبل أن تدخل، ثم سمعت وقع خطواته خلفها.. بوصولها الى منتصف الغرفة سمعته يقفل الباب، ويتجاوز ما يشير الى كرسي قرب المدفئة:

- الن تجلسي؟

جلست، أولاً لأن ساقيها لم تعودا ثابتتين، وثانيا موقع الكرسي يضع مسافة بينهما... وتصاعدت الرغبة في أن تعرف عن نفسها.. لكنها تراجعت وهي تراه يتعثر بالفناجين ليصب القهوة فيها.. واضح ان شكل الفناجين يدله عليها.. واستدار قائلاً:

- ماذا أقدم لك، الحليب والسكر، ام كما هي عادتك؟ ام أنها لم تعد عادتك؟

ترددت سيلڤيا قليلاً، فما تشربه لاورا هذه الايام هو عصير الغريبفروت المُر، مع قليل من الصودا، حين تسمح لها الحمية التي تتبعها. لكنها ردت مرتابة:

- كالعادة.. ارجوك.

وقدم لها القهوة السوداء المرّة، وصب لنفسه القهوة مع

www.elromancia.com

الحليب والسكر:

- اه.. لقد مضى زمن طويل لاورا.

ردت بصوت خفيض:

- أجل.

- عليّ أن اعترف أنك.. أقل عدائية مما توقعت. كنت متأكداً أنك ستأتي، لكن ليس دون احتجاج.

ارتشفت سيلڤيا قليلاً من القهوة.. إذن شكوكها في محلها، جان أرسل بطلب لاورا... لكن لماذا؟ هل اخبرها السبب؟

وتابع سؤاله:

- اتظنين أن المكان تغير كثيراً؟

- اظن أن فيه.. رطوبة.. وهذا ما توقعته.. فقد بقي فارغاً لزمن طويل.

- أجل زمن طويل.. طويل جداً. ما رأيك لاورا؟

أي نوع من الرجال هو ليتصور أن بإمكانه استدعاء زوجة تركته دون تردد منذ سبع سنوات؟ لو أنه في مرضه وعماه بعد حادثته المشكوك في أنه افتعلها ليقتل نفسه ألم يستطع الحصول على شفقتها، فلماذا يعتقد أنها ستعود إليه الآن؟

وسمعته يقول:

- اصب لكِ فنجاناً آخر؟

تمتمت:

- يجب أن اذهب بعد قليل.. لا استطيع البقاء هنا

- ولماذا لا تبقين؟ هناك العديد من الطرق... وأنت تعلمين هذا جيد!

وضعت سيلڤيا فنجانها من يدها:

- لا اظنك تفهم..

قاطعها ببرود:

- أنت لا تفهمين لاورا! أنا لم ارسل بطلبك الى هنا لمجرد حديث ودي. ولا انوي ان ادعك ترحلين ثانية.. منذ لحظة قررتي أنني لا اشكل خطراً على حياتك التي صنعتها لنفسك!

وواجهها عبر عرض سجادة المكتبة، ولولا أنها تعرف بعماه، لاقسمت أنه يراها، تجلس بقلق على حافة كرسيها.

- لقد جئت لأن خطابي افزعك.. لأنك لم تصدقي بالفعل، لكنك لست واثقة. منذ وصولك وانت تراقبيني، تتفحصين ردة فعلي، تحاولين التقرير ما اذا كنت اعني ما قلته لك.. واذا كنت اعنيه.. ماذا ستفعلين تجاهه.

وقفت سيلڤيا متوترة:

- أنت لاتفهم سيد سيڤير.. أنا.. أنا لست.. زوجتك.. لست لاورا.. اسمي.. سيلڤيا روز.. وأنا لا اعرف عما تتحدث!

ساد صمت مطبق لعدة لحظات مشحونة، امتدت الى دقائق، لاحظت فيها أنه يحاول استيعاب ما قالت.. ثم لوت

ابتسامة مريرة شفتيه وصدر عنه ضحكة قصيرة خشنة.

ـ اوه.. براڤو لاورا.. براڤو.. أجل.. حقاً أجل. هذا جدير بك. أنكار هويتك.. كم أنت ذكية، وكم أنت جريئة!

كيف لرجل اعمى أن يعرف من أنت.. خاصة رجل اعمى لم يشاهدك منذ العديد من السنين؟ الصوت، الجسد، حتى الماكياج تغير كل هذا مع السنين.. ولن يكون له فرصة أن يعرف.. لن يكون واثقاً أبداً..

شهقت سيلڤيا:

ـ أنها الحقيقة.. لست أكذب.. أنا حقاً لست لاورا.

ـ لماذا إذن لم تقولي هذا من قبل؟

ـ لماذا.. لأنني.. لأنني...

ـ لأنك لم تفكري بالامر:

ـ لا!

ـ اوه.. هيا الآن..

لم يعد هناك مجال للاشفاق عليه الآن، فقد وقف بينها وبين الباب تماماً... وتابع بقساوة:

ـ اعرفك لاورا.. اعرف كل شيء عنك.. لقد اصغيت حتى كدت أتقياء لقصص عن سحرك، وجمالك، وما تحبين، وما لا تحبين... وانغماسك بنفسك.. نفسك.. نفسك...

ـ لا!

ـ راقبت رجلاً يتحطم لأجلك امام عيني، يخسر كل ثقته

بنفسه، احترامه لنفسه، حتى ارادته في الحياة.. وهو يتحدث عن حاجاتك، عن مطالبك عن نجاحك، عن أنانيتك هذه كلمة أنسب... عن صورتك البشعة، عن اطلاقك العنان لنزواتك المدمرة التي يجب ان تكفيها، مهما كان الثمن!

لم تفهم سيلڤيا كل هذا. فهمست:

ـ أنت.. أنت راقبت رجلاً..

ـ اوه.. أجل.

وقفت مذهولة تلاحظ باعصاب اخذت تضعف أنه يرى... لكن لماذا لا يرى؟ انه ليس جان سيڤير.. الشبه كبير، القسمات لها نفس الطراز.. وبكل سهولة يمكن التغاضي عن غلطتها في شخصيته... وجه هذا الرجل اشد قساوة، أقوى.. واصغر سناً. أنه قريب لجان دون شك، لكنه ليس زوج لاورا.

ـ أنت.. انت لست.

ـ لا.. أنا لست.. أنا ادوارد سيڤير.. جان.. كان.. أخي!

* * *

www.elromancia.com

- ٢ -

الفخ

استمرار سيلڤيا بالتحديق به، دفعه للقول بعد لحظات:

- تبدين مصدومة! ألم تعرفي أن لجان شقيق؟ ربما لا تعرفين.. وهذا لا يدهشني، لطالما أُعتبرت الشبح الذي يروع عائلة سيڤير.

لعقت سيلڤيا شفتيها الجافتين، وقالت بصوت خفيف ثابت:

- جان.. لم يكن له شقيق. اعرف هذا.. لاورا.. لاورا اخبرتني.

- حقاً...؟ حسناً.. أنا آسف لتخييب ظنك. لكن.. كان له أخ. على الاقل، لجهة الاب، فوالده، اقصد والدنا، لم يكن لينفر من زرع بعض البذور خارج حقله.

- اتعني.. تعني.. أنك..

- ابن حرام؟ اجل، هذا صحيح، ابن حرام بالاسم وبالطبيعة.. الا توافقين على هذا؟

اخذت تفتش يائسة عن كلمات تشرح له الموقف:

- اسمع... لا اهتم بمن تكون، أو سبب وجودك هنا.. ولست اهتم حتى برأيك بلاورا.. أو.. أو الطريقة التي تعرفت فيها مع أخيك.. ما يجب أن اكرره لك هو.. أنني لست هي.. اسمي.. سيلڤيا روز. كما سبق وقلت لك..

مد ادوار سيڤير يده الى جيبه ليخرج علبة سيكار رفيعة وقال بنزق:

- اوه.. وفري عليّ هذه الدراميات.. اتسمحي؟

ووضع سيكار بين أسنانه واخذ يفتش عن الولاعة ليكمل:

- كلانا يعرف من أنت، ولماذا جئت...

- لا.. لا.. أنت لا تعرف...

- أرجو أن تغيري هذا.

- سيد سيڤير.. ارجوك اصغ الي!

تقدمت منه خطوة، فاسرعت يده لتخطف معصمها ويضغط ابهامه على شرايين النبض وقال:

- لا.. اصغي انت الي.. جان مات.. الم تفهمي ما قلته لك؟

- لا!

www.elromancia.com

ـ بلى.. مات.. اتفهمين؟ وضع حدا لحياته بيده. ولم يكن هناك شيء يمكن ان افعله أنا او أي أحد آخر.

ـ لا!

حدقت في وجه ادوارد سيثير الحقود، فاحست أنه ينوي قتلها. وأن هذا هو سبب ارساله في طلب لاورا.. إلا أنها لم تجيء. بل أرسلتها هي بدلا منها أملاً في أن لا يميز الزوج الاعمى بينهما بعد سبع سنوات... صاحت والخوف يدفع نبرة ذعر الى صوتها:

ـ اقول لك انني لست لاورا! لقد ارتكبت غلطة كبيرة!

ـ لا يالاورا.. أنت من ارتكب الغلطة في مجيئك الى هنا حقا لاورا.. اتوقع افضل من هذا التمثيل منك.. هل ازعجتك رسالتي حقاً! ام ازعجتك رحلتك الطويلة الى هنا.. لوحدك؟

ـ هل.. ارسلت في طلب لاورا؟

طبعاً.. الم اقل لك لتوي؟ جان مات، منذ ثلاثة أسابيع.. ما فكرت خلالها بسعادة أكبر من وضع يدي على عنقك الاناني هذا!

حاولت جاهدة ان تقاوم الاحساس بفقدان الوعي الذي اخذ يجتاحها.. لكن الظلمة لفتّها كحجاب مريح..

استفاقت لتجد نفسها ممددة على اريكة في غرفة لم ترها بعد. واخذ الدوار ينزاح، فحاولت النهوض على مرفقها،

حين، دخل ادوارد يحمل كوب ماء. وجهه أكثر شحوباً مما كان.. لكن عيناه كانتا بنفس القساوة. وقف قربها فتهاوت معيدة رأسها الى الوسادة:

ـ هل أنت بخير؟

ـ ما.. ما الذي حدث؟

ـ واضح أنني ارعبتك زيادة، فأغمي عليك.

قدم لها الكوب، حين رفضت وضعه على الطاولة الصغيرة واكمل:

ـ ام ان هذا مصطنع كذلك؟ اذا كان مصطنعا فالافضل ان تغيري مهنتك الى التمثيل.

طوحت سيلڤيا قدميها الى الارض، ولو مرتجفة، وجلست. قساوته تعادل قساوة لاورا، ولا بد أنهما يستاهلا بعضهما البعض لكنها تذكرت البريق الاجرامي القاتل في عينيه حين تكلم عن زوجة اخيه، وقررت ان لا تستسلم لانتقامه. وقال ادوارد:

ـ أظن من الافضل ان نتناول الطعام الآن.

ـ نأكل؟

ـ ولماذا لا؟ السيدة كوزيت تركت لنا لحماً بارداً في غرفة الطعام. ومن الافضل أن نقوي أنفسنا استعداداً لليل القادم.

بطريقة ما يجب ان تحل الموقف الراهن قبل أن يتحول الى شيء كريه أو يحدث شيء لا تحمد عقباه.. وقفت مرتجفة

www.elromancia.com

وقالت:

- اين حقيبة يدي؟

- حقيبة يدك؟ ولماذا تحتاجين لحقيبة يدك؟ فأنت لست ذاهبة الى أي مكان.

رفعت سيلڤيا رأسها، وكررت:

- أين حقيبتي؟

متجهما خرج من الغرفة بعد تفكير لحظات.. فبدا لها أن تهرب الى الباب الامامي وهو مشغول في احضار حقيبة يدها... لكن مفاتيحها في الحقيبة.. ولن تستطيع النجاة.. عاد الى الغرفة وقد فتح الحقيبة واخذ يعبث بمحتوياتها. فشهقت وصاحت به:

- كيف.. كيف تجروء؟

- لا استبعد أن تحملي مسدساً، يا أختي العزيزة.

فجأة ارتسم على وجهه تعبير غريب وهو ينظر اليها.. ثم وكأنه يفعل هذا دون ارادة، مرر اصبعه على وجهها.. فاجفلت الى الوراء مبتعدة عن لمسته، لكنه لم يغضب، بل التوت شفتاه سخرية. وقال:

- يجب أن اعترف بأن جان كان له ذوق ارفع مما كنت أظن. ولا عجب أنه وجد هرويك منه امر صعب عليه.. لو كنت مكانه، لفعلت مثله.

احست سيلڤيا بالارتجاف سخطاً:

- أشك في هذا.

لم تلتق من قبل برجل عاملها هكذا. وحده تشارلز استطاع التقرب اليها أكثر من أي رجل آخر. وتراجعها الآن أمام هذا الرجل كان غريزياً أكثر منه عاطفياً. رد عليها:

- ربما.. فليس هناك إمرأة تستاهل هذا النوع من التضحية. ولا حتى أنت.. لاورا.

صرّت سيلڤيا بأسنانها وأخذ تبحث في حقيبتها وأخرجت رخصة القيادة، مدت به يدها اليه:

- خذ... إسمي سيلڤيا روز.. انظر الى الرخصة. اخذ منها الرخصة دون تردد، وفتحها وقرأ:

- سيلڤيا روز.. هه.. رائع جداً.. من هي سيلڤيا روز؟ سكرتيرتك؟ ام سكرتيرة لايسي؟

- جون لايسي ابن خال والدي. اقول لك إنني سيلڤيا روز لماذا لا تصدقني؟

- وهل تظنين حقاً أنك بابرازك رخصة قيادة ستقنعيني؟ عزيزتي لاورا، اشخاص مثلك يسافرون عادة متخفين.. أليس كذلك؟ إذن لقد تبنيت هوية سيلڤيا روز.. كانت من تكون!

- الم تشاهد لاورا من قبل؟ الم تلتقِ بها من قبل؟ أنا لا اشبهها!

- نحيلة، شقراء، خضراء العينين، تبدو أصغر من سنها... يبدو أنك تناسبين الوصف:. ثم، كان مع جان

www.elromancia.com

صورة لك.. أنت لاورا سيڤير ولا شك.. كنت سأعرف هذا الوجه البريء أينما كان!.

ـ لكن الا تفهم.. الصورة التي تتحدث عنها عمرها على الاقل عشر سنوات. ولاورا تغيرت، أنها أكبر سناً الآن.. أين هي تلك الصورة؟ دعني اراها.

ـ ليست معي... لم يتركها جان من يده أبداً، حتى أننا اضطررنا لدفنها معه.

احست سيلڤيا ان الارض تميل تحتها.. ثم جاءتها فكرة!

ـ اوه.. اتصل بلندن. لدي رقم لاورا. تحدث معها.. أعرف بنفسك أنها هناك.. انها الآن تشارك في عرض للازياء الآن... اتصل بدار الازياء، بالتأكيد سيقنعك هذا.

ـ وما ادراني أنك تركت إمرأة تنتظر لترد على مثل هذه المخابرة؟

ـ وكيف لي أن أعرف ماذا سيحدث هنا؟

ـ رسالتي.. رسالتي التي ظننت أنها جاءت من جان.. قلت لك فيها تعالي لوحدك، ولا تخبري أحداً.

شهقت سيلڤيا:

ـ إذن.. إذن ما كنت سأقول لأحد.

بدا عليه التردد.. وقال أخيراً:

ـ حسناً.. ما رقم دار الازياء؟ سأتكلم مع المدير. كتبت سيلڤيا الرقم على قطعة ورق، واعطته إياها. ليقطع الردهة

ليلتقط الهاتف، تأخر الاتصال قليلاً، لطلبه أولا مركز الاتصال في «كاليه».. ثم سمعت سيلڤيا رنين الهاتف المخنوق في غرفة مدير الدار.. اخيراً رُفعت السماعة وأحست أنها تمسك بأنفاسها بينما كان ادوار يتكلم. وقال:

ـ ليست هنا؟

التفت الى سيلڤيا متجهما.

ـ ماذا؟ مريضة؟ أنا آسف. أتعلم متى ستعود؟ اوه.. أنا.. صديق. بل صديق. لا.. آسف.. أجل بكل تأكيد.. ودائماً. وهو يعيد السماعة مكانها احست سيلڤيا بأن لسانها التصق بحلقها.. حتى دون كلمات.. كانت تعابير وجهه تقول كل شيء.

ـ يبدو أن هناك ذعرا هناك.. يبدو أن بديلة عنك اضطرت للظهور بدلاً عنك في آخر لحظة.. والناس في هياج يطلبونك. وقال لهم مدير أعمالك أنك مريضة، ولايعرفون متى ستعودين.

حركت سيلڤيا رأسها بحركات سلبية وقالت:

ـ لا بد أن.. لاورا.. خططت لكل هذا... لا بد أنها كانت تعرف انني قد احاول الاتصال.

بدا عليه نفاذ الصبر الحقيقي:

ـ اوه.. هيا الآن.. الا تظني ان هذا كله قد تمادى كثيراً؟ حين فقدت الوعي منذ قليل ادركت ان ما من غريبة يمكن لها

أن تتجاوب هكذا.. لقد خفت لاورا.. اعترفي. بهذا! خفت فاجبرك عقلك الباطن الصغير على الاغماء!

لا بد أنه قرر انها إنما تتلاعب كسباً للوقت، كي تتدبر أمر دفاعها.. فعاد ليقول ببرود:

- يجب أن نأكل الآن.. الا تظني هذا؟

بهزة كتف عاجزة، اذعنت ولحقت به.

تركها تجلس لوحدها الى المائدة وقال لها.

- استرخي.. بالنسبة لأمرأة في مثل سنك وخبرتك، من السخف أن تكوني بهذا التوتر... ام أن هذا كله تمثيل؟ من يستطيع التمييز؟

جلست سيلفيا الى الكرسي المقابل له، ولم ترد عليه.. لكن صمتها لم يعد مقبولاً، فاطلق شتيمة ووقف ليجلس الى مقعد الى يمينها. وقال بسخرية باردة:

- دون شك هكذا حميم اكثر.

كان المفروض أن تخبره، إنها بالاضافة الى أنها شخص آخر غير التي يظنها، فإنها كذلك تعاني من مرض نادر في القلب، الامر الذي، بالرغم من تركها تعيش حياة طبيعية، يمكن ان يتسبب بقصور في الصمامات حين تتأثر أو تثار، وقد يؤدي هذا الى الموت. وهذا الرجل الآن.. ادوارد سيثير.. يعذبها.. ينخزها.. يهددها بما لا تعرف ما هو.. وليس لديه أية فكرة عن المخاطر التي يتسبب بها... وقال لها ساخراً:

- كلي.. الا يمكنك ان تأكلي. الطعام لذيذ! مضى عليّ أسبوع هنا الآن. والسيدة كوزيت لم تخب أملي ابداً.

- السيدة كوزيت!

رفعت رأسها الى العينين المترقبتين، ثم التوى فمه:

- اوه.. لا! لن تقولي لي أن مديرة المنزل ستتعرف عليك! آسف انها تعنى بالمنزل منذ ذهاب جان الى جنوب فرنسا. وأشك في ان تكون تعرفك.

احدبت سيلفيا كتفيها يأساً:

- الم تشاهد لاورا من قبل؟ أنها شهيرة!

- كنت اعيش في اميركا الجنوبية لخمسة عشر سنة.. وكما قلت لك، كنت دائماً الابن الضال في العائلة. جان الكبير، والدنا، لم يكن يريد رؤيتي امامه. لأنني اذكره بشبابه السيء.

تنهدت سيلفيا

- افهم هذا.. لماذا.. لماذا ذهب جان ليعيش حيث قلت؟

- جنوب فرنسا، لا تدعي انك لا تعرفي. لقد ورث فيلا هناك.

- ورث؟ ممن؟

- حسنا.. سألعب لعبتك، اذا احببت. من خاله، موريس ايفانز، لا بد تعلمين ان جدة والدنا كانت من ساحل المتوسط

www.elromancia.com

الفرنسي.

- لا.. لكن هذا يفسّر سبب السمرة... اقول لك أنني لا اعرف سوى ما اخبرتني لاورا به.

- ذلك الجزء من العائلة كانت له مصالح في اميركا الجنوبية، وبما أنني كنت مقرباً منهم أكثر من جان، فقد عملت هناك لشركة المناجم التي يملكونها.

- مناجم؟ ما نوع المناجم.

- الالماس.. الالماس الصناعي. لطالما كانت عائلتنا «سيڤير» مشاركة في اعمال المناجم بطريقة أو اخرى، وأنت تعرفين هذا لا شك.

- اوه.. أجل.

- حسناً.. ارسلت الى جنوب فرنسا للدراسة، فقد قرر أبي ابعاد اخطاءه عن نظره.. لكنه بهذا ادى لي خدمة.. فقد احبتني زوجة خالي العجوز هنريت.. وهي من ارسلتني الى اميركا كي ارعى مصالحهم في المناجم هناك.

- فهمت.

- صحيح؟ اتساءل... وجان لم يذكرني لك ابداً.

- قلت لك...

- اجل.. اجل اعرف.. اخبريني اذن عن سيلڤيا روز.. ماذا تعمل؟ الديها وظيفة؟ ام أنها عارضة زميلة لك؟

- عرض الازياء عمل.. أنا.. أعمل في دار للازياء.. أنا

المديرة المنفذة.

- حقاً؟ مديرة.. كم هذا مثير للاهتمام!

ردت بحرارة:

- انه عمل مثير للأهتمام حقاً... وأحبه.

- لا حاجة لأن تؤكدي لي هذا... اقترح عليك أن تتناولي بعض الطعام... لا فائدة في تجويع نفسك.

رفعت نظرها اليه تسأله:

- لماذا دعوت لاورا الى هنا؟ وكيف أملت بأن تقنعها بالمجيء؟

تفرس بها ادوارد لفترة طويلة، ثم قطع شريحة خبز فرنسي ووضعها في طبقها.

- كلي.. قبل أن اقرر أن أميتك جوعاً.

رفعت سيلڤيا قبضتا يدها الى الطاولة:

- لماذا لا تجيبني..؟ اليس لي الحق أن اعرف؟

تابع الاكل لعدة دقائق، ثم رفع نظره اليها ثانية:

- لقد ظننت ان جان هو من ارسل الرسالة.. اتذكري؟ حتى انك لم تهتمي بموته!

- لم أكن اعرف!

ابتسم بسخرية:

- ارأيت، لعب اللعبة بتواصل، يجعل المجرم يفضح نفسه.

www.elromancia.com

- اووه.. انت لن تصغي اليّ.. اليس كذلك!

- لا.

- اعني لي.. لي أنا.. سيلفيا روز.. أنا لم اعرف ان جان مات.

- كسيلفيا روز، لماذا تعرفين؟

- لأن لاورا صديقة لي، وكانت ستقول لي لو عرفت.

- وبالطبع لم تعرفِ أن جان كان مريضاً بشكل خطير.. وكتب اليك يتوسل أن تأتي لتشاهديه!

لم تستطع أن تصدق هذا.. لاورا لم تقل لها شيئاً عن كتابة جان لها بل العكس. قادتها لأن تصدق بأنه يعيش سعيداً في جنوب فرنسا. يتمتع بالطقس المختلف الدافىء.. وقالت:

- لا! متى كان هذا؟

- في عيد الميلاد. قبل ثلاثة اشهر من وفاته... اي قبل ان يضع حداً لحياته!

- لا...!

- بلى.. كان مصاباً بالسرطان.. وتعرفين ان السرطان قتل امه من قبله.. وكان سيقتله في النهاية.

- اذن...

صاح بها بخشونة آمراً:

- توقفي عن هذا! اعرف تماماً ما ستقولين.. لكن، بالنسبة

لمن كان يهتم له، موته كان فاجعة، مأساة فظيعة، ما كان يجب ان تحدث، لو انك استجبت لتوسلاته، وذهبت لرؤيته، واظهرت له أنك لست دون قلب بالمرة..

لم يكن لدى سيلفيا رد على هذا، سوى أنها ليست لاورا.. ولو كانت تعرف، لحثت لاورا على رؤية الرجل الذي لولاه لما تسنت لها فرصة السفر الى لندن والظهور في عالم الاضواء.

التقطت شوكتها وأخذت تتلاعب بما في صحنها من طعام.. فشهيتها للأكل مفقودة تماماً. ثم رفعت نظرها وقالت:

- لكن.. لو كانت لاورا قد رفضت الذهاب لرؤيته، فكيف اقنعها بالمجيء الى هنا؟

رد بسخرية باردة

- لقد جئت.

- ماذا.. ماذا تنوي فعله معي؟ اعتقد أن لديك فكرة.

- اوه.. طبعاً.. مع أنني اعترف أنكِ خيبتي أملي بطريقة ما.

- أنا.. خيبت املك؟

- صحيح. فالمرأة التي وصفها لي جان، كانت مختلفة قليلاً.

- مختلفة.. كيف؟

قطب:

- أنت أكثر رقة.. توقعت أن أرى امرأة اعمال عنيدة..

www.elromancia.com

لكنك تبدين لي، لطيفة، وضعيفة تقريباً... هل تمثلين عليّ؟ اهذا ما شاهده أخي فيك؟ اللطف.. الضعف؟ القفاز المخملي الذي تخبئين فيه القبضة الحديدية؟

- اذا كنت مختلفة هكذا.. فلماذا لا تصدق أنني لست لاورا؟

تراجع في كرسيه:

- اوه... قد اكون مخطئاً.. كنت مخطئاً من قبل.. لكنني لست مخطئاً الآن. اظنك امرأة ماكرة. لكنك لن تخدعيني.. كما خدعت جان.

ارتجف صوت سيلفيا قليلاً.

- اذن.. لقد عدنا الى نقطة البداية.. ماذا تنوي ان تفعل بي.

- حسناً.. سأكون صريحاً معك.. نواياي الاولية كانت ترتكز على الانتحار، لكن حين امسكت بك، كان توقيتك ممتازاً.

- توقيتي؟

- الاغماء. حين فقدت الوعي.. اووه.. صحيح.. كان ذلك أداء محترف!

قالت مقطوعة الانفاس:

- تقول.. أنك.. تريد قتلي؟

- وهل هذا امر مثير للعجب؟ بسببك عاش أخي في الجحيم!

- أنا آسفة.

- أنت آسفة!

نظر اليها بسخرية وأكمل:

- اتظني قولك هذا ينفعني؟اتقولي أنك آسفة؟ يا الهي! تجلسين هكذا وكأنك صورة مجسمة للبراءة، وحياة رجل تثقل ضميرك. وحياة آخر في الانتظار.

رفعت حاجبيها:

- لا افهمك.

- الا تفهمين؟ لماذا تظنين أنني جئت بك الى هنا؟ صدقيني ليس من أجل جمع شمل حميم! كنت انوي أن اجعلك تدفعين، بطريقة أو اخرى، ثمن ما فعلتيه بأخي.

- بطريقة.. أو اخرى؟

دفع بنفسه الى الوراء حتى ان كرسيه وقفت على قائمتيها الخلفيتين:

- اجل.. اما الموت.. أو الادانة بأنك مجرمة قاتلة.. لا استطيع التقرير ايهما اكثر رضى لنفسي.

شهقت سيلفيا:

- أنت مجنون! أقول لك أنني لست لاورا.

www.elromancia.com

هز كتفيه، واعاد الكرسي على قوائمها الاربعة:

ـ لا.. لكنني لست مستعجلاً.. لدينا الكثير من الوقت.

حدقت به مذهولة:

ـ الكثير من الوقت.. ماذا تعني؟

ـ أعني ما قلته بالضبط.. فنحن لن نذهب الى أي مكان آخر.

لا أنت ولا أنا.

* * *

ـ ٣ ـ

العصفور السجين

كان الهاتف صلة الاتصال الوحيدة بالخارج.. وهي تجلس في المكتبة، تشرب الشاي وتراجع وضعها، لتجده غير مطمئن.. لن يصغي اليها ادوارد شيفير، دون أن تفضي اليه بحالتها الصحية، وما من شك أنه أخذ الهاتف في اعتباره، والباب الامامي مقفل.. حتى أنه لم يسمح لها باحضار اغراضها الليلية من السيارة.. والسماء تمطر.. لكن سيلفيا، للغرابة، لم تكن خائفة.

لم تكن قادرة على ان تقرر لماذا.. ربما عدم خوفها عائد الى موقفها أنه مهما كان ينوي لها، فلن يحدث الليلة... وكل وقت فيه تأخير، يسمح بإعادة النظر... ثم هناك زدة فعلها نحوه، بالطبع: نوع من الرهبة، نصفها فضول واستغراب

www.elromancia.com

والنصف الآخر إنجذاب، نجح في أن ينتزع من دماغها كل تفكيرها بتشارلز..

انفتح الباب وراءها، فاجفلت من تفكيرها، ثم أقفل الباب وراءه وقال:

ـ تبدين في بيتك تماماً... كم امسية امضيت متكدرة على المقعد برفقة جان؟

فوراً دفعت قدميها الى الارض، واخذت تبحث عن حذائها العالي الجوانب حتى الكاحلين، تحس أنها ضعيفة دونهما. فتقدم ادوراد بسرعة فوق السجادة وركلهما بعيداً، فرفعت نظرها اليه ساخطة، وقال لها بابتسامة دون مرح:

ـ لن تحتاجينهما الليلة.

تنهدت سيلڤيا، مصممة أن تدعه يزعجها.. وقالت:

ـ حسنا.. كان في نيتي البقاء هنا على أية حال. لاورا اعارتني المنزل لخمسة عشر..

صاح بها مقاطعاً بحدة:

ـ للجحيم لن تفعل.! فهذا المنزل ليس لها لتعيره!

ـ لها؟

رد ببرود:

ـ لك.. إذن... لقد انكرت حقك بالباتروس ساعة تخليت عنه وعن أخي.

لم تستطع سيلڤيا أن تترك هذا يمر دون رد:

ـ آه.. صحيح؟ لقد كنت خارج البلاد سيد سيڤير.. والقوانين تغيرت... نصف املاك الرجل تعود الى المرأة في حال الطلاق أو الفراق. ولاورا وجان لم يتطلقا رسمياً أبداً... وهذا يعني...

صاح بها غاضباً:

ـ أيتها المتآمرة الماكرة اللعينة!

امسك بذراعيها يدفعها بقوة عن الكرسي، واكمل:

ـ هل تتجرأين على القول انك تملكين هذا المنزل؟ وأن ما كان لجان هو الآن لك؟

كانت سيلڤيا ترتجف حتى أنها لم تكن قادرة على الوقوف. إلا أن يداه كانتا قاسيتين تحفران لحم ذراعيها وتدعمانها.

وتمتمت:

ـ أنا... أنا... كنت أقول لك...

تغيرت ملامح وجهه حين لاحظ تغيير لونها، وتمتم:

ـ شاحبة جداً! ضعيفة جداً! لا عجب أنك تمكنت من سلب عقل جان المسكين!

وجرها نحوه ليحتويها بين ذراعيه، ورفع يداً الى مؤخرة عنقها ليقرب رأسها نحوه، ويشد ذراعه الاخرى على ظهرها لينسحق صدرها على صدره... امتلاكه لها كان كاملاً.. خانقاً.. لكن، مع أن قلب سيلڤيا اخذ يخفق بقوة، إلا أنها أحست بمشاعر أخرى تتحرك داخلها.. ما من رجل قبله

احتضنها بهذه الوحشية، بهذا الغضب، مع استمرار تمسكه بها، حتى أنها احست أن هناك تغيير قد طرأ عليه. فانتزعت نفسها منه:

- لا...

سأل ساخراً:

- لا؟.. آه.. كم رائحتك لذيذة.. وكم أنت جميلة.. جميلة.

فقالت تحتج على استمرار مداعباته:

- أنت.. لا يجب...

لكن يديها اللتان رفعتهما لتمنعه، تعلقتا به.. وكأنه أحس بضعفها، فتلاشى لطفه... دفعها بعيداً عنه وتراجع بعنف:

- اقسمت على قبر أخي، أن أجعلك تدفعين ثمن ما فعلته به!

يا الهي.. كيف لي أن أعرف أنك ستتمتعين بهذا؟

كلماته قاسية مؤلمة. مهينة، كما قصد أن تكون.. وارتجفت سيلفيا وهي تسوي ثيابها، وأحست بالخجل.. ماذا دهاها؟ هذا الرجل هددها بأن ينتزع حياتها منها، وها هي تسمح له بأشياء حميمة لم تسمح لأي رُجل بمثلها من قبل.. صحيح أن تشارلز حاول مغازلتها لكنها كانت دائماً تحافظ على تباعد معينٌ.. وادركت ان الامر الآن مختلف، فهي تريد من ادوارد سيڤير ان يلامسها، وارادت أن تلامسه! وهو محق..

لقد تمتعت بهذا!

وضع يداه في جيبي بنطلونه، وكأنه لا يثق بيديه أن لا تمتدا اليها ثانية، وقال

- اذهبي الى النوم!

- النوم؟ اتتوقع مني حقاً أن استطيع النوم؟

- ولم لا؟ لا ضرورة للخوف مني!

- لكن أين سأنام؟

- ما رأيك بالغرفة التي كنت تشاركينها مع جان؟

رفعت رأسها بحدة:

- مع المخاطرة بأن أكون مملة، اكرر لك أنني لست لاورا.. ولا اعرف اية غرفة شاركتها مع اخيك.

- أنت حقاً سافلة.. الست هكذا؟

صاحت ساخطة:

- لا..! سيد سيڤير...

نظر اليها بغضب وقاطعها:

- أيمكن ان تصمتي..؟ اخرجي من هنا فقط، الا تستطيعي؟.. قبل أن افعل شيئاً قد اندم عليه!

- سيد شيڤير..

- اوه.. لاجل الله!

قطع الغرفة ليفتح الباب بشراسة ثم اتجه نحو السلم:

- الحقي بي!

توقف أمام باب زجاجي مزدوج، ونظر اليها ساخراً، ثم فتح الباب لتظهر غرفة بدت أنها غرفة النوم الرئيسية في المنزل. كبسة زر اشعلت عدة مصابيح معلقة على الجدران لتعطي اضاءة دافئة. ووجدت امامها غرفة متناسقة برشاقة، يحتلها سرير ضخم له اربعة قوائم مرتفعة، الجدران مكسوة بالقماش الحريري الكريمي اللون، تتناسب الوانه مع الوان المفارش فوق السرير، الاثاث الباقي فيها من الخشب القاتم، إما من السنديان أو من ما هو غوتي.. خزانات ملابس مرتفعة تتنافس لأجل المساحة مع طاولة زينة مثلثة المرايا. فيها كذلك مقعدان وثيران بذراعين، بقماش مقلم، وكرسي طويل الظهر مماثل الالوان، طاولة كتابة أثرية قرب النافذة.. وبدا على الغرفة جو الاستعمال. فقالت.

- هذه.. هذه غرفتك. لا استطيع استخدامها.

اصدر صوت ازدراء:

- أنت مضطرة. أنها الوحيدة المحضرة الآن. واذا كان النوم بين اغطيتي كريه بالنسبة لك، أقول لك أن السيدة كوزيت غيرتها هذا الصباح.

ابتلعت ريقها بصعوبة:

- وأين.. أين.. ستنام أنت؟

شخر ساخراً:

- وهل يهمك؟ حسناً.. ليس هنا! بامكانك مواجهة الاشباح لوحدك.

رفعت سيلفيا يديها عاجزة:

- سيد سيفير...

- اذهبي للنوم!

وترك الغرفة.

عندها فقط احست كم كانت تمسك باعصابها!

وكأن كتفاها كانا تحت وطأة حمل ثقيل.

اجالت النظر ثانية في الغرفة، وتذكرت أنها نسيت حقيبة يدها في الاسفل وفيها قارورة الدواء الذي من المفروض أن تأخذه يومياً... وتوقع النزول، ومواجهة غضب ادوارد وسخريته كان اكبر من أن تتحمله. وعليها أن تنتظر الى أن يذهب الى النوم، مهما طال الوقت.

استحمت، مبقية شعرها جافاً قدر استطاعتها، وبعد أن جففت نفسها واستخدمت البودرة الرجالية الموجودة هناك ارتدت روب الحمام الكبير المقاس، ليصل الى كاحليها تقريباً وربطت الحزام حول خصرها.. لو أن اصدقائها يرونها الآن.. لكنها سرعان ماقطبت لتذكرها لاورا.

هزت سيلفيا رأسها...

بكل تأكيد لم تكن لاورا تعرف أن جان مات.. لكن، ومهما كانت رسالة ادوارد تحتوي، كانت بحاجة الى كبش

محرقة.. فهل تكدرت حقاً من تلك الرسالة؟ ام أنها اعتقدت بأن سيلفيا ستتمكن من السيطرة على رجل اعمى؟ لكن مهما كان عذرها، فهو أمر لا يمكن غفرانه.

امسكت فرشاة الشعرالرجالية، وبدأت تمشط شعرها وهي تتنهد... في الغد، يجب أن تقول له كل الحقيقة عن نفسها.. من الجيد الادعاء لفترة بأنها طبيعية.. لكن هذا لا يمكن له أن يستمر، ولن تسمح له أن يستمر. لن تسمح لأي رجل بعد الآن أن يعاملها كما عاملها تشارلز. في الغد ستظهر الادوية لادوارد وتتحمل أي تغيير قد يطرأ على تصرفاته...

وجلست على السرير ملتفة بروب الحمام.. لأول مرة سمعت هدير البحر من البعيد، وأحست بالصمت المخيف حول المنزل.

بعد الباتروس وعزلته، تسبب التوتر في أي وقت.. وبتركز اصوات الليلة في تفكيرها احست بتوتر مضاعف.

هل هذه حقاً غرفة لاورا التي شاركتها مع جان؟ لا بد أنها هي. أنها غرفة كبيرة، ومضاءة بنصف دزينة من المصابيح الصغيرة، بالرغم من هذا هناك زوايا معتمة فيها.

تنهدت، ثم توجهت عبر الغرفة لتطفىء اربعة من المصابيح، تاركة اثنين فقط قرب السرير، انها لا تريد ترك الغرفة في ظلام كامل... وهي تقف الى جانب السرير مرة اخرى، نظرت الى روب الحمام.. أنها لا تشعر بالبرد، ولا

تنوي ارتداء ملابسها قبل ان تنزل لتحضر حقيبتها. وعادت الى الجلوس على حافة السرير.

احست بألم بسيط في صدرها.. ربما هو عسر هضم، بسبب التوتر الزائد الذي مرت به تلك الامسية. لكنه ذكرها بالدواء الذي في حقيبتها، بنيتها أن تنزل وتحضره.. بدا لها المنزل الآن هادئاً بما يكفي.. ولا بد أن ادوارد سيثير قد ذهب الى النوم الآن.

فتحت الباب بهدوء، ثم ترددت قليلاً عند حافة السلم، ثم نزلت دون استعجال، لتجد باب المكتبة مفتوحاً وتجدها مضاءة بنور خفيف من أثر نار المدفأة.

حقيبتها كانت قرب الكرسي حيث تركتها، ففتحتها بسرعة لتخرج قارورة الاقراص، ثم اتجهت الى الطاولة لتصب لنفسها بعض المياه الغازية وتبتلع الدواء بلهفة. ترنحت قليلاً وهي تعيد الكوب مكانه، ولأنها غير راغبة في إثارة الشكوك، اعادت الحقيبة مكانها قرب الكرسي.

خرجت من باب المكتبة وهي لا تزال تترنح، فجأة اضيئت أنوار الردهة، ورفعت رأسها لترى ادوارد يقف عند اعلى السلم، فأمسكت بأسفل الدرابزين، غير قادرة على رفع قدميها. تمتم ببضع كلمات غير مفهومة واسرع ينزل السلم، وقبل أن تستطيع الاحتجاج كان قد حملها ليعود بها الى الطابق الاول.

- ما.. ماذا.. تفعل؟

تعابير وجهه عكست سخريته:

- كنت ساسألك نفس السؤال. سمعت.. صوتاً.. فخرجت لأتأكد أن جان العجوز لم يخرج من قبره ليطاردك.

ابتلعت ريقها بصعوبة:

- أنت.. انت لم تفكر بهذا اطلاقاً! لابد أنك رأيتني أنزل، وقررت أن تخيفني.

- أنت تتصرفين وكأنك في بيتك على أية حال. فهل كل هذا لأجلي.

دخل بها غرفة النوم وانزلها قرب السرير.. فأحمر وجهها ليصبح زهرياً قاتماً، انتشر اللون من اول فتحة الروب اسفل عنقها الى اطراف شعرها الاصفر. واشارت الى الروب:

- اذا.. كنت تعني هذا.. أنه الشيء الوحيد الذي استطعت استخدامه.

- أنا لست اعترض.. واعتقد انك قادرة على تبرير سبب تسلك في منزلي.

- لم أكن اتسلل.. كنت بحاجة الى.. اسبرين.

- الحجة الابدية.. كم اصبحت مبتذلة! الا يمكنك الاحتجاج بشكل افضل لاورا؟ الابواب كلها موصدة، والمفاتيح معي.

شهقت:

- ايمكن ان تتصور حقاً أنني كنت احاول الهرب بروب حمام؟

- كيف ارد على هذا؟ هل افهم أنك قررت أن المكان يعجبك؟

- افهم ما شئت. والآن لو تسمح.. اريد النوم.

تنحى جانباً واشار الى السرير بسخرية:

- تفضلي.. لكنني اريد اخذ روب الحمام خاصة لو سمحت.

فغرت فاها رعباً:

- أنت.. أنت.. من تأخذه!

- ولم لا..؟ أنه لي. اليس كذلك؟ طبعاً، اذا لم ترغبي في اعطاءه لي...

ادركت ما يريد أن يقول، اذا لم ترغب في اعطاءه سيأخذه.. ادارت ظهرها اليه ورفعت غطاء السرير ثم فكت باليد الأخرى رباط الروب ليقع على الارض وتندس بين الاغطية في نفس الوقت.

- شكراً لك.

انحنى ليلتقط الروب. لكنه لم يبتعد عن السرير. بل وقف ليضع يده تحت ذقنها:

- سأقول لك، تصبحين على خير اذن.

ردت مرتجفة:

- تصبح على خير.

- هل فقدت اعصابك.. تبدين.. متوترة.. هل اشكر جان العجوز على هذا التوتر؟

اغمضت سيلفيا عينيها تأمل لو أنه يذهب، لكنه لم يفعل. تحرك رفاصات السرير دلت على أنه جلس قربها، بإنتظار أن تقوم بالخطوة التالية.

حاولت ان تفكر بهدوء.. ما حصل بينهما في المكتبة حصل موجات من الاثارة تجتاح جسدها.. لكنها تذكرت كذلك، طريقة تعرفه... طالما اعتقد أنها راغبة، لن يلمسها، لكن لو ظن أنها تخاف منه، فقد يغير رأيه.

فتحت عينيها من جديد، ونظرت الى وجهه لتندهش بمدى الكرب الذي يرتسم عليه.. وادركت أنه لابد يفكر بأخيه. فرفعت نفسها على مرفقها تمسك بالغطاء بيدها المستندة اليها، ومدت يدها الاخرى تلامس وجهه.. فتراجع بحفلا من لمست اصابعها، لكنه لم يقف.. فقالت بصوت ناعم:

- هل كنت حقاً قلقاً عليّ ادوارد؟

اشتد ضغط فكيه.. الازدراء الذي يحس بها نحوها كان ظاهر بمرارة حول فمه. مع ذلك بقي حيث هو... وتمتم:

- كم تبدين بريئة.. الست خائفة أن اقرر مشاركتك الفراش؟

- لن استطيع منعك.

رد عبر شفتين مشدودتين:

- لا.. لن تستطيعي.

مد يده يمررها على وجهها وفمها، ثم قرّب رأسه منها:

- لن تحاولي استفزازي الآن.. اليس كذلك؟ لقد بدأت تخافين، لاورا... احس بهذا.. قلبك يخفق كعصفور اسير.. وهذا ما أنت بالضبط الآن.. عصفور اسير في مخالب صقر... ولا شيء تقولينه قد ينقذك.

اجفلت للمسة يده على كتفها:

- أيها.. المجنون..

لكنها كانت تحس أنها تضعف، فرفعت يديها الى صدرها لتحمي نفسها، ووضعتهما على قميصه الحريري.. فصاح بسخرية:

- عظيم.. حاولي منعي.. وسنرى من يربح المعركة.

أخذت سيلفيا تدير رأسه الى الجانبين تحاول أن تجد طريقة للخلاص.. تحس أن جسدها بدأ يخونها مع كل حركة تقوم بها... وأخذ دمها يجري بسرعة حارقة في شرايينها... وسمعته يتمتم:

- ايتها الساقطة!

وضمها اليه.. يداها سعت لوحدهما الى كتفيه.. تتحركان فوق بشرته الناعمة.. لم تستطع انكار الاثارة التي تحس بها لملمس عضلاته القوية تحت اصابعها.. وازدادت قوة استجابتها

الخائنة... وبهذا فقدت آخر صلة لها مع الواقع.. لم تعد تهتم لو كان يظنها لاورا، وتركت مشاعرها تملي عليها ردات الفعل.

ثم.. حين بدأت تصدق.. بنصف توقع ونصف خوف، أنه ينوي اكمال الطريق، أحست برعدة عنيفة تجتاحه.. وجذب نفسها بعيداً عنها، لكنه بجهد كبير استطاع الوقوف متمتماً:

ـ اوه.. صحيح.. أجل.. أنت تريد مني أن افقد السيطرة على نفسي.. اليس كذلك لاورا كم سيكون هذا إنتصار لك حين تعرفين أنك قادرة على اغوائي كما فعلت بأخي!

ـ أنت مجنون!

الم يحس أبداً بمشاعرها؟ مهما سيقول الآن مهما تصرف، فالرجل الذي احتواها لتوه بين ذراعيه فعل هذا باحساس، بعاطفة، وليس بعدائية حقودة.. وانسحابه كان مؤلماً له بقدر ما هو مؤلم لها. وأجابها:

ـ لنست مجنوناً لاورا. ستجدين كم أنا عاقل في الصباح.. المواقف المختلفة تحتاج الى وسائل مختلفة، هذا كل شيء. انت اذكى مما تصورتك. وهذا يظهر تماماً أن على المرء ان لا يقلل من أهمية خصمه!

صفق الباب خلفه كان بارداً مثل هبة الهواء التي تسبب بها.. واحست بعدم التصديق.. هل يحدث هذا بالفعل لها؟

هل تنام فعلاً في فراش غريب؟ نصف عارية.. تحس بالندم لأن الرجل الغريب عليها حتى قبل ساعات رفض إكمال ما بدأ به؟

أنه حق.. فهو ليس بمجنون... أنها «هي» المجنونة: لم يفعل شيئاً يخجل منه.. فهو يؤمن حقاً أنها لاورا، ولقد تركته يمضي في ظنه هذا.

باحساس قرف.. ضمت الاغطية حولها، لتخفي نفسها عن عينيها.. اهي حقيرة لهذه الدرجة؟ هل لديها فعلاً أي تبرير لتصرفاتها؟ هل يمكن لاحد.. خاصة هو.. أن يفهم دوافعها حين تكشفها؟ ربما في الصباح.. وغاصت فوق الوسادة.. ربما في الصباح قد تتمكن ان تشرح له... لكن هل سيسامحها أبداً؟

* * *

- ٤ -

إنسي أنني هنا!

كان النهار مكتملاً حين استيقظت سيلفيا.. الشمس تتدفق عبر فتحات الستائر، ويتفحص ناعس لساعتها، عرفت أنها تجاوزت العاشرة.

- العاشرة!

الصيحة افلتت منها دون وعي، وهي تصيح، عاودتها ذكرى ما حدث ليلة امس، وتذكرت ذلك المشهد الرهيب الكريه حين رمت نفسها عليه... ثم، متنهدة، هزت رأسها.. يجب أن لا تحس بالحرج، لشيء تسبب هو فيه. فمهما كانت ردات فعلها، هو من اراد هذا..

اجتاحت خدودها موجة لون زهرية.. كيف ستتمكن من مواجهته بعدما حدث؟ كيف يمكن ان تراه، تتحدث اليه،

تتصرف بشكل طبيعي معه، وهي منذ ساعات تصرفت كإمرأة مبتذلة بين ذراعيه؟ ما الذي حدث لتحفظها واحترامها لنفسها؟

انفتاح باب الغرفة دفعهالاغماض عينيها متظاهرة بالنوم.. لكن هذا كان دون فائدة، فقد كانت رائحة القهوة مغرية جداً، ففتحت عينيها نصف اغماضة لتجد ادوارد يقف ينظر اليها مفكراً.. لكنه قال آمراً وهو يضع الصينية على الطاولة:

- توقفي عن الادعاء. من الغباء البدء بخداعي باكراً. الا تظنين هذا؟

ردت موافقة:

- استيقظت لتوي.. منذ.. منذ متى استيقظت أنت؟

- ليس من وقت طويل.. انه صباح رائع.. ولا يجب ان ننتظر كثيراً لاستكمال صداقتنا المثيرة.

وتقدم ليفتح ستائر النوافذ... فقالت:

- فهمت.. أنت تعني صداقتك مع لاورا.

مرر يده على مؤخرة عنقه:

- يا الهي! كنت واثقاً أنك ستكتشفين عقم هذا الجدال الآن، لاورا.. الا تظنين أن الوقت حان للتوقف عن التلاعب.. ولتتصرف كشخصين مسؤولين؟

رفعت سيلفيا نفسها على مرفقها، متأكدة من بقاء الاغطية الحريرية ملتصقة حولها. ونظرت الى الصينية، كان فيها القهوة وكوب عصير البرتقال.. فتناولت العصير قبل أن ترد عليه.

www.elromancia.com

- هل حضرت السيدة كوزيت هذا؟

- لا.. أنا فعلت. فلست عاجزاً بالمرة، استطيع صنع القهوة، سلق بيضة، والغسيل، اذا اضطررت.. وطبعاً، بوجودك الآن هنا. سأتوقع منك القيام بهذه المهمات.

تنهدت سيلفيا:

- حول ما قلته منذ قليل.. اوافق معك.. اظن ان علينا التوقف عن التلاعب.. أنا لست لاورا، وليس هناك طريقة تجبرني فيها لأن أقول انني لاورا. ولو تعطيني فرصة لارتداء ملابسي سأثبت لك هذا.

- كيف؟

كادت تقول: بنزولي الى الاسفل في هذه اللحظة واظهار الدواء الذي في حقيبتي!

لكن لسانها التصق بسقف حلقها، ولم تستطع قول شيء، ولم ينتظر سماع ردها المتردد:

- ارأيت؟ ما ان تحديتك، حتى تراجعت.. أنت تتلاعبين لأجل كسب الوقت، وأنا لست مستعجلاً.. لولا جان.. لتمتعت بتعذيبك!

رفعت رأسها:

- ولولا جان لما كنت هنا!

رد ساخراً:

- صحيح! كم تبدين بريئة! وانثوية! يمكنني القول أنك

أول إمرأة اشاهدها جميلة عند الصباح. وهذا يظهر كم ان المظاهر خداعة.

- اعتقد أنك رأيت العديد من النساء في الصباح.

- القليل.. لن تتوقعي مني أن أكذب، أليس كذلك؟

- لست اهتم لو كذبت. طالما تتركني ارحل.

- وهذا ما تعلمين أنني لن افعله.

تنفست بعمق:

- لماذا؟ ماذا تريد مني؟

رده كان مختلفا عما توقعت، اذ تقدم الى السرير وامسك ذقنها:

- لا تجربي حظك كثيراً لاورا.. لو أنني فكرت...

صمت فجأة وتركها. لتقع مجدداً على الوسادة، وضربات قلبها تملأ اذنيها. ردة فعله، اثبتت لها كم هي ضعيفة معرضة للمخاطر. وكم من الغباء اطالة امد هذا التنكر. وعاد للسيطرة على نفسه:

- إذن.. أرتدي ملابسك. فأنا رجل نافذ الصبر، تذكري هذا. واذا لم تنزلي الى الاسفل في خلال... ربع ساعة. سأصعد لاحضرك بنفسي.

- مع سوط في يدك.. دون شك.

- ما هذه الفكرة الرائعة! ربما سأفعل هذا.. لذلك كوني واثقة أن لا تكوني في الحمام حين أصل. فأنا أعرف أن الجلد

www.elromancia.com

المبلل له لذع حد السكين.

بانحناءة مؤدبة، تركها وانصرف. فاستلقت سيلفيا عدة دقائق بعد ذهابه، تتساءل عما اذا كان من الممكن ان يكون بهذه القساوة فعلاً.. مع هذا لم تكن واثقة منه أن لا يأتي لو أنها عصته.

تسارعت لابتلاع فنجان القهوة ودخلت الحمام.

حين نزلت، سمعت أصواتاً من مؤخرة المنزل، فتبعتها لتصل الى المطبخ، كانت تتوقع أن ترى ادوارد يغسل الصحون لكن، خاب املها لترى إمرأة غريبة تقف عند المغسلة.. واستدارت المرأة بحدة، قسماتها البيتية المريحة تحمل ابتسامة فضول لرؤيتها سيلفيا.. وقالت بانكليزية مكسرة:

ـ اه.. أنت لا شك آنسة روز. سيد سيفير قال أنك نمت في وقت متأخر... أنت هنا في اجازة.. اسفة لأنني لم اكن اعرف أنك قادمة. والا لحضرت لك غرفة.

ـ لا بأس في هذا. أين هو السيد سيفير؟ كنت أبحث عنه.

ـ في الخارج، أظن. قال شيئاً عن اغراض في سيارتك بقيت هناك بسبب المطر. لا بد أنه ذهب ليدخلها الآن.

ـ اوه.. اوه.. شكراً لك.

لماذا لم تفكر بهذا من قبل؟ لا شك أنه سيأتي باغراضها من السيارة.. لكن ماذا سيفعل بها؟

تركت المطبخ واسرعت عائدة الى الردهة لتجد حقائبها في المنتصف، لكن دون وجود ادوارد، على كل، الباب الامامي مفتوح وباستجابة للهواء النقي المندفع منه، والذي لم يعد بارداً كما كان ليلة امس، خرجت الى المدخل. رائحة البحر لا يمكن احد أن يخطيء فيها، فأخذت نفساً عميقاً، تحب رائحة البحر النقية النظيفة، بعد أن اعتادت على جو المدنية الملوث. ثم التفتت بذعر الى الخلف حين ظهر مضيفها من خلف السيارة. فشاهدها، هو يستقيم من عمل شيء داخل المركبة. وهو يتقدم نحوها شاهدت الغضب المحتار في نظرته:

ـ قولي لي شيئاً... لماذا تأتي لاورا معها بكيس نوم وصندوق مليء بالمعلبات، وهي لا تنوي قضاء ليلتها هنا؟

تنفست عميقاً:

ـ لو فكرت روياً بهذا.. اظنك ستصل الى الرد الصحيح.. ولطف منك أن تدخل لي حقائبي.. لكن هذا دون فائدة.. فلا يجب أن ابقى هنا.

ـ لن تبقى؟

كلماته كانت مشحونة بالمعنى، اضاف بنفاذ صبر:

ـ من هي سيلفيا روز بحق الجحيم؟

ـ أنت.. أنت تعرف.

وتراجعت، فلحق بها وقال:

ـ أظن من الافضل ان ندخل المكتبة!

www.elromancia.com

فهزت كتفيها اذعانا، اذ لم تعد متشوقة أكثر مما هو لأبقاء المواجهة مسلطة فوق رأسيهما. واغلق ادوارد باب المكتبة ثم كتّف ذراعيه وقال بصوت أجش:

- هل ارسلتك لاورا الى هنا؟ لأنني احذرك لو... شبكت سيلفيا يديها معاً وقالت بسرعة:

- لاورا.. ارسلتني.. لكن.. ليس بالمعنى الحرفي.

- وماذا يعني هذا؟

- دعني اشرح لك... أنا.. اردت الابتعاد عن لندن لفترة..

- كم هذا مقنع!

- لا.. اعني ما أقول.. وعرضت لاورا عليّ المنزل.

- عرضته عليك؟

- لأقيم فيه..

رد بريبة:

- وفي هذا الوقت بالذات؟

- حسنا.. هذا ما حدث، وبالطبع لم تقل لي أن.. أن المنزل مأهول.

- مأهول؟ يا الهي..! الا تدركين ما فعلت بك؟ وما كدت أنا أن أفعل بك؟

احمرت وجنتاها بشدة، وردت:

- أجل.. اعرف.

اخذ يوزع المكان بعدائية، ثم وقف واستدار نحوها:

- اذن؟ لو كنت سأصدقك، هل أنت بريئة من آية خدعة تقوم بها لاورا؟

- لم أكن أعرف أنك هنا. اذا كان هذا ما تعني.. اي لو صدقت هذا.

- اهذه هي الحقيقة؟

شهقت سخطاً:

- أجل!

- حسناً.. اصدقك.

- صحيح؟

راقب ادوارد تعبير وجهها المهتاج للحظات، ثم اضاف:

- كان يجب أن أخمن.. كما اعتقد! هذه البراءة! أنها حقيقة جداً لتكون مزيفة.. لا بد أنني سببت لك ذعراً كالجحيم!

فارتجفت:

- ليس تماماً.

هز رأسه:

- يا الهي.. لماذا لم تمنعيني؟

- كيف؟

- هذه السيارة هوية متجولة لك.. كيس نوم، معلبات.. مسودة قصة..! هذا دون ذكر حذاء للمشي قد تقتل لاورا

www.elromancia.com

نفسها قبل أن ترتديه.

ترددت:

- كان يمكن أن تقول أن هذا متعمد.

- والطعام؟ لاورا؟ لا.. لا اظن... اوه.. لم اعد ادري شيئاً... ربما أنت محقة... ربما ليلة أمس كنت.. مجنوناً! أحمقا! لكنني لم أكن أريد أن اصدق ان ما تقولينه صحيح!

- عما تتحدث؟

- اوه.. هيا الان.. لست ساذجة الى هذا الحد.. كنت تعرفين ليلة أمس في لمساتي أكثر من رغبة الانتقام.. لقد احببت ملامستك.. سيلفيا روز، وبالرغم من كل شيء احببت ملامستي لك.

تراجعت ترتجف:

- اظن هذا الحديث تمادى كثيراً.. طالما أن الامور توضحت...

- ابدا.. لم يحدث هذا.. اريد معرفة سبب ارسال لاورا لك.. وكيف حققت هذا.. مما سمعته عن زوجة أخي.. لا يمكن أن يكون هذا صدفة.

هزت سيلفيا كتفيها:

- قلت لك.. كنت بحاجة الى عطلة.

- لكن لماذا احتجت الى عطلة؟ ولماذا هذا الاسبوع بالذات؟ بكل تأكيد منطقة كاليه في شهر نيسان ليست فكرة احد عن

الجنة!

ترددت قليلاً.. ثم قالت:

- هناك رجل.. رجل اعرفه.. ظننته يهتم لأمري..

- وهو لا يهتم؟

- هذا ما يظهر.. وتوقفنا عن رؤية بعضنا.

- اظن أن لاورا لاعلاقة لها بالامر؟

- لاورا.. حسناً.. بطريقة غيرمباشرة.

- تابعي!

ابتلعت ريقها:

أفضل أن لافعل.

- سيلفيا!

هذه أول مرة يستخدم اسمها، ومن بين شفتيه كان الاسم جذاباً.. فتابعت تعترف:

- هناك شيء.. شيء قالته له لاورا.. وفي ذلك الوقت بدا لي الامر صدفة... لكنني الآن...

الآن لم تعودي تظنين هذا.

- لم أعد ادري ما قدأظن.

- وهذا يجعل منا اثنين... يا الهي.. حين افكر بما كان سيحدث! ربما تنظرين الي كنذل.. لكن ليس من عادتي اغواء الشابات!

- أنت لم تفعل هذا.

- لا.. لكن كان يمكن أن افعل.. أنا آسف، ربما خاب املك!

شهقت سيلفيا.. فسارع يعتذر مجدداً!

- حسناً.. حسناً.. أنا آسف.. احاول وضع الملامة عليك لكنها ليست غلطتك. لكن يا الهي، ما نوعها من النساء لترسلك الى هنا مكانها؟

- لم يعد الامر يهم الآن.. اعني أن الامر انتهى و...

- وهل إنتهى؟

- ماذا تعني؟

- اعني.. اوه.. يا للجحيم! لست ادري.. أنا بحاجة لتفكير.

- سيكون لديك وقف طويل للتفكير بعد أن ارحل.

- ترحلين؟ أنت لست راحلة:

- يجب أن ارحل.

- لماذا؟

- لماذا؟ لا استطيع البقاء هنا.. ليس بعد الآن.

- لماذا يجب ان ترحلي؟

- أنا.. اليس لديك اعمال تقوم بها..؟ لاورا...

- فلتذهب لاورا الى الجحيم! لايهمني لو لم أعد اراها..

فهي أمكر مما اعتقدتها... الآن.. كل ما اشعر به نحوها هو الازدراء. ويبدو لي الانتقام عقيماً. أنت الآن محط اهتمالي، وليس لاورا.. وأنا.. اريدك أن تبقى.

- أنا.. لا استطيع.

- قلت بنفسك خططت للبقاء اسبوعين هنا.. فلماذا لاتفعلين هذا.

- أنت لا تفهم.. هناك اشياء لاتعرفها عني...

نظر اليها بسخرية مرحة:

- اظنني اعرف كل ما يجب أن أعرفه.

ومد يده يداعب وجهها بنعومة:

- أنت بريئة جداً ليكون لديك سّر كبير.. اخبرني به، ثم اقرر بنفسي ما اذا كنت في خطر اخلاقي يمنعني من تركك تبقين هنا.

لم يكن يتحدث بجدية، وتلاشت رغبتها في أن تقول له.. ولماذا تقول له؟ أنهما غريبان، بالرغم من اللحظات الحميمة التي شاركاها.. وما أن تغادر الباتروس، لن تراه ثانية.. احست بالألم في صدرها لهذه الفكرة، التي لم تعد مثيرة للاطمئنان سمعته يقول بقساوة:

- هل أنت خائفة من البقاء؟ قلت لك أنني لن ازعجك...

إلا اذا رغبت في هذا.

ارتجفت:

www.elromancia.com

- الوضع... مستحيل.

- لماذا؟

- لأنني.. اريد أن أعمل.. فأنا.. كنت اعتقد المنزل فارغاً. واحتاج للخلوة.. للعمل.. في كتابتي.

- كتابتك؟ تعنين المسودّة التي وجدتها؟

- انها قصة.. للاطفال.. كنت انوي إعادة كتابتها، كي اختصرها قليلاً.

هز رأسه؛

حسناً.. أنت مؤلفة اذن!

- كنت افضل لو تقول.. كاتبة.

لوى فمه:

- حرية المرأة...! آنسة روز؟

- اعلم ان هذا سيثير سخريتك.. لكن ارجوك، خذ كلامي على محمل الجد.

- اوه.. اصدقك... اذن كان الباتروس سيكون ملاذك؟

- بطريقة ما.

- هكذا اذن.. ووجودي قد يزعجك؟

نظرت الى وجهه الساخر ثم التفتت عائدة الى الردهة حيث حقائبها، واستدارت نحوه:

- أنا.. اود شكرك.. على ضيافتك.. سيد سيڤير...

- سيد سيڤير... اوه سيلڤيا..! الا يمكن ان نوقف هذه التمثيلية السخيفة؟ أنت تعرفين أنك لن تذهبي الى أي مكان.. لن استطيع.. لن ادعك. ليس بعد على أية حال... نحن بحاجة لوقت كي نتكلم.. بحق الله! الا تفهمين هذا؟ لا يمكننا ان نفترق هكذا! لا اريد هذا.. ارجوكِ حاولي أن تفهمي ما أقول سيلڤيا.. اريدك أن تبقي.

ارتجفت.. فقطع المسافة بينهما، وامسك يدها الباردة بين يديه ليدفئهما، وتمتم:

- لا تنظري اليّ هكذا.. صحيح أنني لم افعل حتى الآن ما يوجب ثقتك واحترامك.. لكن صدقيني، لديّ مشاعر، وأنا الآن لا استطيع مسامحة نفسي على الطريقة التي عاملتك بها.

- لا حاجة لك..

- اللعنة..دعيني اقرر ما أنا بحاجة اليه... لو بقيت، يمكن لي الادعاء، ولو لنفسي، أنك معجبة بي، ولو قليلاً. حاولت افلات نفسها منه.

- وماذا.. تنوي أن تفعل؟ اتبقى هنا كذلك؟ ظننتك قلت لي أن عملك في اميركا.. متى تنوي العودة؟ وكيف يمكن ان تتحمل مثل هذه المدة في فرنسا؟

- منذ موت جان، ارادتني هنرييت أن ابقى معها! وفي الوقت الحاضر امامي شؤون تركة جان لأهتم بها.

www.elromancia.com

- حسناً.. هذا بالتأكيد يعني رؤية لاورا؟

- ليس بالضرورة.. حاموا العائلة بامكانهم التعامل معها. ولو أنها، كما تقولين، يحق لها بنصف املاك زوجها الراحل، لفكرنا بالامر... لكن هذا لا علاقة لنا به.. بك أنت... ابقي هنا.. سابتعد عن طريقك.. اعدك.. حتى ربما ساخطر للسفر الى لندن لبعض الوقت.. وخلال وجودي تظاهري انني لست هنا، فالمنزل كبير.. اعطنا وقتاً لنتعرف بشكل ملائم.

- لست بحاجة لتعرفني.. كنت تتوقع لاورا.. وجئتك أنا. وأنت لست مديناً لي بشيء.

شدّ اصابعه عليها لتؤلمها:

- سيلفيا.. لماذا تتصورين أنني لست بحاجة لأن اعرفك؟ سلفيا.. سيلفيا الصغيرة.. لا يمكن ان تكوني أكثر خطأ.. فأنا أجدك فاتنة.. أنت أكثر إمرأة جذابة عرفتها..

- اوه.. ادوارد...

- لا.. اسمعي سيلفيا.. أنت تعجبيني.. لديك شجاعة تعجبني.. لم التق قبل بفتاة مثلك، فلا تتركيني.. ليس قبل ان نعرف بعضاً بشكل أفضل.

لكنه لا يعرف، أنه يعتقد فقط أنه يعرفها.. لكن ما أن يعرف..

- أنا آسفة... أنا مسرورة جداً، بالطبع.. لكن...

- اللعنة.. الا يمكن أن تنسي ما حدث ليلة أمس؟ الا يمكن أن تنسي انني ظننتك لاورا.. ألن تحاولي فهم ما أقول لك؟ أنا لست ذلك الرجل الذي تظنين.. اعترف أنني كنت قذرا معك... لكنك أنت جعلتني اكتشف ناحية من نفسي لم اكن اعرف بو جودها.. الا يمكن على الاقل ان اعيش في هذا الا كتشاف ولو قليلاً... دعيني اجد نفسي.. ولكلينا.. ما يمكن ان يعني هذا؟ ترددت سيلفيا:

- أنا.. أنا... اظنك تستعجل الامور.. أنت تفترض.. أن.. ني أنني.. اريد أن اعرفك.

- الا تريدين هذا؟ اتحاولين القول ان رد الفعل الذي اثرته فيك ليلة امس، هو رد فعلك العادي لاي رجل يحاول.. يحاول.. التقرب منك؟

- أجل.. اعني.. لا! اوه.. لا اقصد هذا.

- ما هو قصدك اذن؟

- حسناً.. أنت لا تعرف شيئاً عني.. اعني، قد لا اكون بريئة كما تعتقد.. اعني... أنا في الثانية والعشرين، ويمكن أن أكون عرفت رجالاً من قبل.

- حسناً.. هذا جيد، فأنا لاأحب.. قليلات الخبرة.

لم تحس بمثل هذه الصدمة من قبل او سخصت هكذا. ولم تستطع ان تتركه يستمر بهذا.

- يجب أن اعود الى لندن.

- حسنا.. وماذا ستقولين للاورا؟ أن مؤامرتها الصغيرة نجحت؟ وان الفتيل ازيل من الدنيامايت؟.. ان الخطر زال عنها؟

لصقت سيلفيا شفتيها:

- لاورا؟

- أجل لاورا.

- لا اظنها كانت تتوقع منك.. أن.. أن..

- أن ماذا؟.. أن أغويك.. لا.. لأظن هذا.

- جيد إذن..

- أنا أتوقع منها ما هو اسوأ.

- ماذا تعني.. ماذا قلت لها في رسالتك؟

تردد ادوارد.. ثم قال بهدوء:

- هل يهم هذا حقاً؟ كان يكفي لتخويفها، واستخدمتك ككبش فداء!

اخذ ادوارد يراقب تلاعب المشاعر عبر وجهها الفتيّ بتعبير غريب.. ثم تنهد عميقاً وقال:

- حسن جداً.. اذا لن تتركي لي مجالاً لاقناعك..

مدت سيلفيا يديها:

- لا.. انتظر..! اعني.. لست ادري.. قد اوافق على

البقاء..

سألها بارتياب:

- لماذا؟ ما الذي دفعك الى تغيير رأيك؟ الشفقة؟

شهقت:

- شفقة؟ بالطبع لا. ليس عليك بأي حال. لكن ربما على نفسي.. ما قلته.. عن لاورا.. اصدقه. ولو.. عدت الى لندن.. ساخطر أن أقول لها.. أن جان مات. لكن لماذا افعل هذا.. لماذا اتركها تفلت من الفخ؟.. لكن لو بقيت هنا... سيكون يجب ان نضع ترتيبات معينة.. نحن.. أعني أنا.. اذا قبلت البقاء هنا، يجب أن اعمل..

- لن أناقشك في هذا..

- وبالطبع..

نفذ صبره.

- لأجل الله.. اعرف ما ستقولين، ولاحاجة أن تقوليه.. الم أقل لك؟ لا حاجة للخوف مني! اتتصورين أنني سأفرض نفسي عليك؟ كل ما اطلبه ان نتعرف على بعضنا أكثر. فإذا وجدت أنك غيرقادرة على الاستمرار، فأنسي أنني هنا!

ودون كلمة اخرى تركها ليخرج من الباب المفتوح ويصفقه وراءه.

انسي أنه هنا! جف فم سيلفيا، وهي تكرر كلماته

www.elromancia.com

بصمت.. أخذت تتساءل ماذا سيقول لو قالت له أنه ليس هو الذي يخفيها.. لكنها تخاف من نفسها: نفسها الكائنة المهجورة التي تقبلت عناقه بالامس، ومن قد لا تستطيع السيطرة على مشاعرها مرة اخرى.. لقد خاطرت لاورا مخاطرة كبيرة بارسالها الى هنا. لكنها تخاطر أكثر بالبقاء.

هل سيبقى راغباً في بقاءها لو اكتشفت انها ليست تلك الشابة القوية النشيطة التي يتصورها؟

ماذا ستكون ردة فعله لو اكتشف سرها؟

ولماذا من المهم لها أن لا يكتشف شيئاً؟

* * *

- ٥ -

الدم الغجري

اعطيت سيلفيا غرفة في الجناح الغربي، ومع أنها كانت من الجهة التي تطل على اليابسة، إلا أنها كانت قادرة على رؤية أمواج بحر الشمال تتلاطم فوق الصخور في اندفاعها لتمر عبر مضيق دوتر نحو المانش، من نافذتها، ونحو الغرب تماماً، كان الامتداد القاحل للأرض يبدو كئيباً، لكن بوجود اشعة الشمس لتلون أغصان الوزان الجافة بلون الذهب، أصبح لها جمال آخاذ. وفهمت تماماً من أين حصل المنزل على اسمه، فقد بدا لها فعلاً كطيور البحر يشرف من فوق على المياه التي تغلي في الأسفل.

كان ادوارد قد أوصل لها حقائبها إلى فوق، ثم تركها تتدبر أمر نفسها، ولم تعد تعرف أين هو، لكنها سمعت صوت محرك

www.elromancia.com

سيارة من مكان ما قرب المنزل.. حتى انه لم ينظر اليها حين تركها تقف أمام النافذة وهي لم تحاول التحدث معه.

تحركت لتقف امام مرآة طاولة الزينة.. أمامها فتاة نحيلة بخدين مرتفعين وفم شهي.. عيناها خضراوان قاتمتان مختبئتان وراء رموش تكاد تكون ذهبية. رفعت كلتا يديها لترجع شعرها عن مؤخرة عنقها في وقفة متحدية. الحركة هذه ارسلت صدرها إلى الأمام.. إنها جذابة بشكل معقول، لم تكن تعي مقدار جاذبيتها إلى أن جاءتها تأكيدات ادوارد، التي لم تكن كاذبة. صحيح أنها ليست جميلة كلاورا الزهرية البشرة كالوردة الندية، وشعرها الأصفر اكثر من لون الذهب لكن عينيها جميلتان.. وساقاها رائعتان..

طرق على باب غرفتها جعلها تستدير مجفلة، نبضات قلبها تتسارع كعادتها، وكأنها الأرنب المذعور.. وردت:

- نعم.. من الطارق؟

- هذا أنا آنسة.

انفتح الباب لتصل السيدة كوزيت تحمل صينية.

- فكرت انك قد تحتاجين إلى بعض القهوة.. ومتى ترغبين في الغداء؟

- قهوة؟ هذا بالضبط ما احتاج إليه.. اما الغداء.. فسأتناوله ساعة يتناوله السيد سيڤير.

- آه.. سيد سيڤير قد لا يعود للغداء آنسة.. لقد ذهب إلى

كالييه ليقابل محامي السيد جان.

- هل قال لك انني انوي العمل هنا؟.. اهناك طاولة كتابة.. غير التي في المكتبة؟

بدت الحيرة على السيدة كوزيت:

- حسناً.. هناك مكتبة السيد جان.. إنها لا تستخدم الآن.. اعتقد أن بامكانك استخدامها.. لكن يجب سؤال السيد سيڤير أولاً.

- طبعاً.

- ما نوع عملك آنسة؟

- أنا أكتب.. سأكتب قصة.

- صحيح؟ اليس هذا مثير للاهتمام؟ كاتبة؟ كان يجب أن تتعرفي على زوجة السيد جان.. إنها عارضة أزياء، وشهيرة، كما قيل لي. كان يمكن أن تتفقا جيداً.

إذن لم يذكر ادوارد للمرأة سوى اسمها، وانها صديقة له دون شك.. وتساءلت ماذا يتصور أن تكون عليه علاقتهما.. فقد دهشت المرأة حين عرفت أنها هنا لتعمل لكن هل تمكن ادوارد أن يقنعها بأن وصولها لم يكن متوقعاً؟ وردت على تساؤلات المرأة:

- لا أظن هذا فالكتاب وعارضات الأزياء لا يتشابهان.. الكتاب يسعون إلى الوحدة.. بينما العارضات يسعين إلى الأضواء. ثم إنني جئت إلى هنا لأعمل، وليس لأتسلى. والآن

www.elromancia.com

لو قررنا الغداء عند الواحدة، سنعطي السيد سيڤير فرصة للعودة، ألا تظنين هذا؟

لكن ادوارد لم يعد وقت الغداء. وتناولت سيلڤيا الوجبة بصمت في غرفتها.. حيث أخذت تتأمل في الأثاث القديم الذي بدت عليه خدوش الاستخدام، وفكرت كم من المؤسف أن يهجر مثل هذا البيت الذي كان مركزاً لأجيال متعاقبة من عائلة سيڤير.. هل صحيح انه اصبح الآن ملكاً للاورا أم ان هناك اقارب آخرين لهم علاقة به؟ تشك كثير في أن يرغب ادوارد في السكن فيه، أما لاورا فلو اعطيت نصف فرصة، لباعته على الفور.

قررت أن بعض الهواء النقي هو ما تحتاج اليه، فغيرت ملابسها، ونزلت ترتدي بنطلوناً من الصوف المشغول يدوياً، مغطى حتى الركبتين بحذاء مرتفع الجوانب.. كنزتها الكحلية مغطاة بسترة من جلد الخراف، اطرافها موشاة بفرو رمادي.. لكن بغياب ادوارد، لم يكن هناك من يراقب فتنتها.

خلف الحديقة التي نما كل شيء فيها أكثر من اللازم، كان الجرف الصخري ينخفض نحو جون صغير محمي، في الصيف لا بد أن يكون رائعاً. وبدا أمامها ممر اقدام ملتوي يوصل إلى الجون، لكنه كان منحدراً جداً لتخاطر في النزول عبره، حتى ولو ارادت. لجهة البر، استطاعت رؤية الطريق الساحلية عن بعد، كذلك سقوف المنازل والأكواخ من بعيد، للقرية

القريبة.. في الجون، وقرب الرصيف، كان هناك بضعة قوارب للصيد، والبعض الآخر فوق الشاطيء، ويمكن لهذه حتى أن تطفوا لو ارتفع الحد كثيراً.

اختارت طريقها عبر الصخور الشاهقة، وأخذت تتفرج على طيور البحر تغطس وتعلو بحثاً عن غذائها. صيحاتها تحملها الريح بحدة إلى البعيد، وكأنها احتجاجات صارخة على وجود متطفلة في منطقتها.. بعد قليل انقلبت سيلڤيا إلى الداخل مبتعدة عن صراخها المزعج.

فجأة، ظنت أنها شاهدت ثعلباً.. جسد بني محمّر، تسلل قافزاً نحو البعيد تحت الأعشاب المرتفعة.. لكنها كانت واثقة أنها اخافته بقدر ما أخافها.. وشاهدت عدداً كبيراً من جحور الأرانب، وخمنت عن حق أن هذه المخلوقات لا يمكن لها أن لا تجد الطعام هنا.

كانت الشمس قد فقدت كل حرارتها حين عادت إلى الباتروس لم يكن الوقت متأخراً، لكن الوقت مبكر من السنة، والربيع بارد في أوله.. أطراف اصابعها كانت مجمدة من البرد لكن قدميها كانت دافئة بما يكفي.. وهي تتقدم نحو المنزل تساءلت هل عاد ادوارد بعد أم لا. لا بد أنه عاد.. وحذرها قلبها للتأثير الذي يتركه مجرد التفكير به عليها.. خلال مشوارها حققت مدى محدداً من الابتعاد عن مشاكلها الشخصية، لكن توقع مقابلة ادوارد أبعد كل ما تبقى في

ذهنها من أفكار.

في كل الأحوال، لم يترك لها مجال للاستراحة من مشوارها اذ تقدم منها ادوارد، ووجهه يدل على أكثر من اهتمام أو قلق عادي، ليمسك بمرفقيها ويهزها.

- اين كنت بحق الشيطان؟ ظننت جئت إلى هنا للعمل! لأجل الله.. ظننت أنك نزلت إلى الجون وان امواج المد اجتاحتك!

- أنا آسفة!

حين تركها ترنحت قليلاً.. فتغير غضبه إلى اهتمام:

- ما بك؟ هل انت بخير؟ هل آلمتك بشيء؟

- لا.. لكنني لويت كاحلي وأنا أسير.. لا شيء مهم مجرد التواء مفضل.

- صحيح؟

لم يبدو الاقتناع عليه فحملها كما فعل الليلة السابقة وسار بها نحو المنزل.. وتساءلت ما إذا كان سيرها نحو المنزل يمكن أنّ يرهقها أكثر من قربها منه.. انفاسهما القريبة اختلطت في الريح، انفاسه مشبعة برائحة التبغ، وانفاسها قصيرة متثاقلة، دلالة الضعف الذي يصر على اظهار نفسه.

لم ينزلها في الردهة كما توقعت، بل حملها إلى المكتبة حيث كانت النار تتأجج في المدفأة، وترك جسدها يتسلل على طول جسده ببطء مع كل النتائج الممزقة للأعصاب:

- أنت متجمدة برداً. لماذا لم تقولي لي انك تريدين التنزه؟ كان يمكن أن تذهبي معي إلى كالييه، ولكنا تغدينا معاً هناك.

تنفست سيلڤيا دون ثبات:

- أنا.. اردت السير.. و.. ولا حاجة لك أن تقلق نفسك بي.. أنا قادرة تماماً على العناية بنفسي.

- بل على العكس! الا تعرفين أن الأرض هنا خطرة؟ هناك مستنقعات فيها ووحول غارقة متحركة، يمكن أن تبتلعك في لحظات!

رفعت سيلڤيا رأسها تنظر إليه بذعر:

- التقى ادوارد نظرتها بعدائية. وقال:

- ماذا تعرفين عن المكان؟ هل عشت في مثلها؟ هل تعرفت على كل صخرة واخدود في هذه الصخور قبل أن تصبحي في العاشرة من عمرك؟

- وهل هذا ما نشأت عليه؟

- اجل.. اللعنة! واعرف تماماً ما يوجد هناك أكثر منك!

- حسناً.. أنا آسفة. قلتها من قبل وسأكررها. كيف لي أن أعرف انك كنت تتوقع مني البقاء داخل المنزل؟.. لو لم تكن هنا، لاضطررت إلى أن أصون نفسي.. لذلك..

- لذلك.. لا شيء!

وامتدت يداه إليها باندفاع، وتسللتا حول كتفيها ثم إلى عنقها من الخلف، تحت الستارة الحريرية لشعرها، ليجذبها

www.elromancia.com

اليه.. يداه باردتان، لكن مصممتان.. واحست باضطراب مزدوج حين تذكرت ما جرى بينهما الليلة السابقة، واضطرت إلى مقاومة الانجذاب إلى سحره.

- لا..! لقد وعدتني!

زاد شحوب لونه:

- اجل.. طبعاً.. وأنا من يجب أن اعتذر، لا أنت.. لكنني.. حسناً.. لا بأس في هذا.

واطلق نفساً متحشرجاً قبل أن يضيف بأدب:

- سأحضر لك شيئاً ساخناً يدفئك.. اتفضلين الشاي؟

بللت شفتيها، فقد مرت بلحظات خطرة.. وتعرف أن عليها تجنب مثل هذه اللحظات في المستقبل.

- اجل.. الشاي رائع الآن.. ربما استطيع أن أشربه في غرفتي.. اريد أن أريح كاحلي قليلاً.

- استريحي هنا.. ذلك المقعد ورائك مريح جداً، وهذه سنادة أقدام يمكنك استخدامها.

- ألن.. أكون في طريقك؟

- لا.. لن تكوني في طريقي.

- حسناً.

وخلعت عنها سترتها متطلعة حولها إلى مكان تضعه عليها.

- اعطني إياها.

أخذ سترة جلد الغنم منها، واتجه نحو الباب ليختفي في

الردهة، فهزت سيلفيا كتفيها بارتياب، واستقرت بارتياح في عمق المقعد المخملي قرب النار.. المكان هنا أكثر دفئاً.. لو أنها ستبقى هنا، يجب تشجيع احساس محايد بينهما.. يبعد كثيراً عن جو الإثارة الذي يمكن له أن يقود بسهولة إلى نزاع مكشوف.

دخلت السيدة كوزيت بصينية الشاي:

- قال لي سيد سيفير انك لويت كاحلك. إذن كنت تسيرين آنسة؟ التنزه هنا خطر من مثل هذا الوقت من السنة.. والدة السيد سيفير كانت تحب السير في البرية.. لكن هذا طبيعي لها.. فهي من قوم رُحَل و...

- شكراً لك سيدة كوزيت.. هذا يكفي!

صوت ادوارد خلفها جعلها تتمتم باعتذار مخنوق وتنسحب. ووضع ادوارد سند القدمين الذي جاء به تحت قدميها:

- كان هذا لوالدة جان. كانت تستخدمه دائماً.. لم تكن امرأة قوية.

- لا..؟ وما كان خطبها؟

- اظنها كانت تعاني من فقر الدم، وبعد ولادة جان، تطور مرضها إلى مصل في الدم، وماتت بعد أن ولدت أنا مباشرة.

- بعد أن ولدت مباشرة.. لكن والداتكما كانتا مختلفتان.

- صحيح.. هل لنا أن نتناول الشاي الآن؟

www.elromancia.com

- ماذا..؟ أوه اجل.. مع الحليب والسكر ارجوك.

- جيد.. اكره أن تصابي بأذى وأنت هنا.

بعد قليل عاد لسؤالها:

- هل اعجبتك غرفتك.

- رائعة.. لم أكن أتوقعها. إنها انثوية لا بد انها كانت للسيدة سيڤير.

- ايهما تقصدين؟

- اقصد.. والدة جان.. لم تكن غرفة لاورا.. صحيح؟

- لا.. لم تكن غرفة لاورا.. لكنها لم تكن غرفة والدة جان كذلك.

- اوه.. من اذن؟

- الا يمكن أن تخمني؟

شهقت:

- والدتك؟ كيف هذا؟

- تعرفين كيف.

- اجل، لكن هذا غير طبيعي.. كيف تعيش والدتك في المنزل بينما السيدة سيڤير لا زالت حية؟

- قلت أن الغرفة لأمي، لكن بعد وفاة والدة جان.

- لكن لو أن زوجته ماتت. فلماذا..

- لماذا لم يتزوجها بدلاً من ابقائها خليلة له؟

- لا.. لا اريد أن أسمع فلا شأن لي بكل هذا.

- اذن لماذا كنت تصغين بشغف لأقاويل السيدة كوزيت؟

- هي من كانت تتحدث. ولم أشجعها.

وتراجعت في مقعدها مرهقة، مثل هذه المواجهات العاصفة كانت تسلبها حيويتها.. وبأصابع مرتجفة مدت يدها إلى فنجان الشاي، لكن توتر اللحظات الأخيرة طبعت آثارها على وجهها فسألها قلقاً:

- هل أنت بخير؟ هل قلت لك شيئاً أزعجك؟

- بالطبع لا..

- ماذا بك سيلڤيا؟ أحياناً تبدين.. ضعيفة هشة كالكريستال المعرض للكسر!

أعادت فنجانها إلى الصينية:

- أنا آسفة.

- توقفي عن الاعتذار في كل لحظة.. أما أن تكوني ساذجة فعلاً أو انك ذكية جداً.. لا استطيع القرار بينهما.

- الا تستطيع؟

- لا.. اوه.. لا استطيع معرفة إذا كنتَ فعلاً ساذجة حقاً، لكن البراءة هي أكثر من البراءة الجسدية. إنها حالة ذهنية نفسية.. وليساعدني الله.. فأنا لم أقابل مثلك من قبل!

وقفت سيلڤيا فجأة:

- سأذهب إلى غرفتي الآن، إذا كنت لا تمانع.. أريد أن

www.elromancia.com

استحم قبل.. العشاء. ولدي بعض الأمور الشخصية انهيها.

ـ.. انتظري! يجب أن تسمعي بقية القصة بدلاً من شرائح غير مفهومة من هنا وهناك.. سمعت من قبل عن القوم الرحّل؟

تنهدت ببطء وقالت:

ـ حسناً.. أكانت والدتك من الغجر؟

ـ اجل. كانت من الغجر.

ـ وهل ماتت؟

ـ صحيح.. كانت هاربة من أبي.. لذلك تفهمين الآن سبب غضبي حين وجدتك مختفية بعد الظهر.. ومع أن علاقتنا مختلفة.. مع أن والدتي رفضت الزواج من أبي.

ـ خلتك قد تكون مخطئاً..! فوالدتك كانت تعيش هنا، أنت قلت هذا.

ـ لم تكن تعيش هنا طوعاً.. صدقيني.. حين اكتشف والدها حملها بي، طردها من القبيلة. ووجدها أبي تعيش في القرية حتى بعد ولادتي.. كانت عاجزة، لا أقرباء لها لمساعدتها، ولا مال. فأخذ يعيلها إلى أن ماتت زوجته، فجاء بها إلى الباتروس.

ـ وبعد أن ماتت؟

ـ ارسلني أبي إلى مدرسة داخلية، ثم إلى الجامعة، وكما قلت لك، ارسلني فيما بعد إلى أخواله في جنوبي فرنسا.

ـ و.. وجان؟

اطلق تنهيدة عميقة:

ـ جان؟ جان وأنا كنا متقاربان جداً. على عكس العدائيات العادية التي تظهر عادة على اخوين من أمين مختلفتين، كانت علاقتنا ممتازة.. وكان يحس باليأس حين ابعدني أبي.

ـ أهو الأكبر؟

ـ أجل، أكبر مني بخمس سنوات.. لكنني بطريقة ما كنت أحس أنني أكبر منه سناً.. ربما هذا عائد إلى أسلافي الرومان.. فأنا خليط عجيب... ربعي فرنسي، وربع انكليزي، والنصف الأخير غجري روماني.. وهذا كثير جداً على أي طفل!

احست بالدفء يعود إلى وجهها لكلامه.. وكأنه قرأ ما تفكر به.. وقالت:

ـ هل لي أن اذهب إلى غرفتي الآن؟

ـ أهذا كل ما عندك تقولينه؟ كان يجب أن تكون مشاعرك مختلفة.

ـ لكن والدك لم يبخل عنك.. لقد وضع كل مصاريف تعليمك.

ـ أتعتبرين هذا كافياً؟ دفع المال لتربية طفل؟ ماذا عن مشاعره؟ ماذا عن حاجته أن يكون مرغوباً في هذا العالم القاسي البدائي؟

- ماذا تقول؟ هل تقترح أن المرأة لا خيار لها في الموضوع؟

إن الرجل يمكنه أن يربي الطفل هذا.. دون أية مساعدة من الأم؟

- لا.. ما أقوله، أن على الرجل أن يتزوج المرأة في هذه الحالة. وأنا لن أسمح لطفل مني أن يبقى ابن حرام.. هل اوضحت نفسي؟

ابرزت لسانها لتبلل شفتيها:

- انت واثق جداً من نفسك.. ماذا لو أن المرأة رفضت الزواج منك؟ النساء قادرات على تربية الأطفال لوحدهن.. وأنت تعرف هذا.

رد ببساطة:

- سأجبرها.. بطريقة أو بأخرى.

وكانت تعلم أنه قادر على هذا.

* * *

- ٦ -

لن اعترف!

الغرفة التي كانت يوماً مكتبة جان كانت تصل على البحر.. وراء قطعة الأرض غير المحروثة في الحديقة، كان الخطر الصخري الشديد الانحدار يشكل اطاراً غير سويّ للبحر المتحرك، وبتقدم الربيع، أخذت اصابع الخضرة المندفعة إلى النور تعطي الوانها على الأرض السبخة القاحلة.

وهي تجلس على طاولة الكتابة حيث كان يجلس جان يهتم بأعمال املاكه، امضت وقتاً طويلاً تنظر إلى المنظر أمامها، تحاول أن تكيف نفسها مع مشاعر الإلهام، التي رفضت أن تأتي.. لعدة أيام الآن، بقي الكتاب ملقياً أمامها، وكأنه الأميرة النائمة المنتظرة لمن يأتي على حصانه الأبيض ليوقظها.. واستخدمت هذا التعبير الفكري بسخرية متعمدة.

www.elromancia.com

منذ حديثها مع ادوارد في المكتبة، لم تعد تشاهده كثيراً.. عند العشاء في نفس تلك الليلة، فتحت له موضوع مكان تعمل فيه. وكما تكهنت السيدة كوزيت عرض عليها استخدام مكتبة جان.. ومن تلك اللحظة لم تعد تشاهده سوى وقت الطعام، ومؤخراً لم يعد يظهر كثيراً، وكانت السيدة كوزيت توصل لها اعتذاره مع شرائح من الاشاعات والقيل والقال كانت سيلفيا تفضل لو لم تسمعها.

حتى الآن، اخفاء حالتها الصحية لم يكن عائقاً.. فقد كانا يعيشان حياتين منفصلتين تماماً.. لكن ما كان يقلقها أكثر هو رد فعلها على هذا الوضع غير المرضي.. فبدلاً من أن تمضي قدماً بما خططت أن تفعله، أخذت تمضي أوقاتها تحلم أحلام اليقظة، وبعد أن تذهب كوزيت إلى منزلها آخر النهار، كان الليل يمتد أمامها وحيدة دون إثارة.

وقت الغداء ذلك اليوم كان لها رفقة مضيفها دون أن تتوقعها.

دخل غرفة الطعام بينما كانت السيدة كوزيت تصب الحساء لسيلفيا.. شعره مبتل من أثر عاصفة رطوبة من البحر، ورائحة الخيل تعبق من سترته الجلدية والجينز الضيق.. وعلى الفور التوى فمه عندما شاهد اتساع عينيها.. وقال ساخراً:

- اعذريني.. نسيت أن أغير ملابسي.. انسى دائماً أن لدي زائرة.

أخذت سيلفيا تفتت قطعة الخبز فوق صحنها لا شعورياً:

- أنا واثقة أنك لم تنسَ.. ثم.. إن مظهرك لا تأثير له عندي.

- لا؟.. سيدة كوزيت.. اسمعتي هذا؟ ضيفتنا لا يهمها كيف أقدم نفسي لها.. اتظني أنها ستحافظ على نفس المشاعر لو تقدمت إلى العشاء نصف عار؟

ضحكت السيدة كوزيت باحراج.. بينما جلست سيلفيا بصمت ساخط، تتمنى لو تنفتح الأرض لتبلعها.. لا بد أنه مزاج يميل إلى الإزعاج، وهي أكثر حكمة من أن تتبادل الحديث معه من مثل حالته هذه.

حين خرجت السيدة كوزيت وجدت نفسها تقول بحدة:

- لماذا تحاول دائماً أن تصدم الناس؟ لم اشاهدك منذ أيام وحين ظهرت، بدوت انك تتمتع ب... بالسخرية مني.

- ظننت نفسي اسخر من نفسي. ماذا توقعت مني؟ ان اعتذر لأنني لا زلت أحيا؟ لا استطيع.. أنا موجود، وعليك تقبل العيش مع هذا الوجود!

- أنا لا اعترض على وجودك، صحيح؟ لكنني اعترضت على طريقة تعبيرك عن وجودك.

رد ساخراً:

- ما هذه الكلمات الطويلة.. ما تعنيه هو: لا تأتي إلى مائدتي ورائحتك كرائحة الإسطبل!

www.elromancia.com

تنهدت سيلڤيا:

- أنا.. أحب رائحة الجياد، في الواقع. وهذا لا شأن له بهذا الجدال.

- لماذا لا تأتين للركوب معي إذن؟

ترددت قليلاً:

- لأن.. لأنني هنا لأعمل.. قلت لك هذا.

- فليذهب العمل إلى الجحيم.. لقد سئمت سماع أخبار العمل..! أنت تعترضين على انضمامي إليك، وقيامي ببعض المجهود لادخال بعض المرح هنا، وكل ما تتحدثين عنه هو العمل!

هزت كتفيها:

- لم أطلب منك الانضمام إلي.

- لا.. لم تطلبي، وصدقيني، فكرت مرتين قبل أن أحضر.

- اذن..:

- دعيني أنهي كلامي.. حاولت الابتعاد، ام انك لم تلاحظي هذا.. قبلت اية دعوة وجهت إلي على أمل أن تظهري ردة فعل ما.. لكن لا شيء. استمريت في حياتك، وكأنني غير موجود. وحين دخلت اليوم، عرفت من التعبير على وجهك انني آخر من تريدين أن تريه. فلماذا أفعل هذا اذن؟ لماذا استمر في ضرب رأسي بالحائط؟ لأنني عرفتك سيلڤيا،

احتضنتك بين ذراعي.. وأحسست برد فعلك الغريزي.. أنت لست متزمتة كما تودين أن تظهري، ولهذا استمر في صدم هذه الروح المتمردة العذراء فيك لأخرجها من برودها.

دخلت السيدة كوزيت لتقدم الوجبة التالية، بعد أن خرجت أكمل:

- أجل.. أنت تعرفين تماماً أنك لا تحسين بعدم الاكتراث نحوي. وأتمنى أن تتوقفي عن الادعاء.

ابعدت سيلڤيا نظرها عنه.

- لست أدري عما تتكلم.. اتظن أن بالامكان انهاء وجبة الطعام هذه دون جدال؟ لدي الكثير من العمل بعد الظهر.

- صحيح؟

لهجته كانت تنذر بالشر. ولم تخاطر سيلڤيا بالنظر إليه.. كل ما تريده أن تنهي الطعام وتخرج من الغرفة، قبل أن يحاول اثبات كذبها.. حتى انها كادت تقفز ذعراً حين سمعت كرسيه تندفع إلى الوراء، ويقف. لم تكن تتوقع أن يتخلى عن المعركة بسهولة. وبذهابه، احست أنها مهجورة، وبشكل سخيف.

حين عادت مدبرة المنزل إلى الظهور، لم تعلق على عدم مساس وجبة الطعام. بل جمعت الأطباق التي لم تستخدم.. ثم قالت:

- سأغادر إلى منزلي بعد غسيل الصحون آنسة روز.. فهذه أمسية راحتي.. وتحدثت مع السيد سيڤير وقال أن لا بأس في

www.elromancia.com

تحضير طعام بارد للعشاء في المطبخ.

- اوه.. شكراً لك سيدة كوزيت، لا بأس في هذا.

- يبدو لي آنسة، أنك تمضين وقتاً طويلاً محبوسة في تلك المكتبة... إذا كنت لا تمانعين من أن أقول هذا. وتبدين شاحبة.. أنت بحاجة إلى الهواء النقي.. لو سألتني رأيي.

- لكنني لم أسألك رأيك سيدة كوزيت.. هل طلب منك السيد سيفير أن تقولي لي هذا؟

- السيد سيفير؟ ولماذا يطلب مني مثل هذا.. آنسة؟

وقفت سيلفيا على قدميها، تحس بسخفها وحماقتها:

- أنا.. لا.. لماذا.. لا سبب لدي.. لا سبب اطلاقاً.

منزعجة من نفسها، قلقة لدرجة لم تنتظر فيها القهوة، تركت سيلفيا غرفة الطعام إلى الردهة حيث شاهدت باب المكتبة مفتوحاً، بتهور تحركت نحوه، لكنها تراجعت على الفور حين شاهدت ادوارد يقف قرب النافذة في الداخل.. يداه مدسوستان عميقاً في جيبي سترته وتبدو الكآبة عليه. فحاولت التراجع، لكنه استدار ليراها تبتعد، وكان الوقت قد فات للادعاء بأنها لم تره. وسألها وهو يتقدم نحوها:

- اتريدين شيئاً آنسة روز؟ هل تمتعت بطعامك؟

اعتقد انك تلذذت به أكثر حين تركت لك الغرفة لوحدك؟

- كنت ذاهبة إلى مكتبتي.. وأنا آسفة لأنني ازعجتك.

رد ببرود:

- انت دائماً تزعجيني سيلفيا.. وأنت تعرفين هذا.. أليس كذلك؟ ولهذا تستمرين بارتداء هذه الملابس الصبيانية!

نظرت إلى نفسها بسرعة.. القميص الأبيض الحريري ليس صبيانياً بكل تأكيد، اكمامه المكشكشة اكثر من أنثوية. وكذلك البنطلون والسترة النصف معطف كلاهما من المخمل وهذا ليس بالقماش المناسب للصبيان.

واعادت النظر إليه، وقالت تخفي توترها وراء سخطها:

- انها الملابس الوحيدة التي معي.. وكما استمر دائماً في القول.. أنا هنا لأعمل..

- العمل! وماذا عملت حتى الآن؟

واستدار إلى الداخل حتى اضطرت إلى اللحاق به.. وتابع:

- قولي لي.. ألم تتصلي بعد بلاورا؟ هل طمأنتها أن كل شيء على ما يرام؟

- لا.. وإذا أرادت معرفة شيء، عليها الاتصال بي.. وأنا كنت اتوقع منها أن تفعل قبل الآن.

- صحيح؟ حسناً.. هذا ممكن.. يا للبراءة التي أنت فيها!

صاحت به:

- لكنك لا تعرف كم أنا بريئة.

- صحيح. لا أعرف. أليس كذلك أو أنت تذكريني دائماً بهذا الواقع.

شهقت:

- أنا؟ هذه أول مرة أذكر هذا فيها!

- لا حاجة لأن تذكريها، مجرد النظر إليك تذكرة مستمرة.

- لا تنظر إليّ إذن.

- وكيف أستطيع أن لا أنظر إليك؟ انت سلبت قلبي.. ألا تعرفين هذا؟ استمر في تذكر كيف كنت بين ذراعي وبالرغم من كل نواياي الطيبة.. كم أرغب في رؤيتك هكذا مجدداً.

- لا...

- بلى.. لا استطيع منع نفسي عن التخيل.. أنت جميلة.. وأريدك.. احتاجك سيلفيا.. ألا يهمك لو عرفت انك تمزقيني؟

شهقت:

- أنت.. انت.. لا يجب أن تقول أشياء كهذه..

- ولمَ لا؟ إنها الحقيقة.. ولن أكذب عليك.

ضمت سيلفيا راحتي يدها معاً:

- أظن.. انك.. دائماً تحب ان تزعجني بمثل هذا المزاح..

- أمازحك؟ أوه سيلفيا! كم أنت عديمة الخبرة.. أتظني أنني اتمتع بهذا؟

تمتمت تتململ في وقفتها:

- أظن.. إن عليّ أن أعود إلى كتابتي.

وهي تتكلم تقدم نحو الباب وضغط عليه بجسده، ليقفله ويتكيء عليهِ وقال:

- لا تجفلي.. لنِ أهاجمك.. لأن السيدة كوزيت ليس ابرع منها في التلصص.

شهقت:

- أتعني...

- وهل يدهشك هذا؟.. لا يدهشني.. فطريقة عيشنا هنا ينبوع للفضول بالنسبة لكل القرية.. كما اعتقد.

هزت رأسها بعجز، لا تعرف كيف تجيبه. وتقدم ليقف قربها واطبقت اصابعه على معصمها، ليمنعها هذا من الابتعاد عنه.

فقالت ساخطة:

- لكنك قلت..

- ماذا؟

- انك.. أنك لن.. لن..

- لن ماذا؟ لن المسك؟ لكن ألم أقل كذلك انك عديمة التجربة؟ وبريئة؟ وسأضيف إلى هذا.. سريعة التأثر!

- أيها القذر..

التوى فمه سخرية:

- اجل.. أنا قذر.. الست هكذا؟

امسك بمعصميها معاً بيد ومرر الأخرى على خدها:

www.elromancia.com

- لكن رجلاً في موقفي عليه أن يخاطر حين يعرض عليه شيء.

وقلبها يضج في اذنيها، تساءلت كم تستطيع تحمل هذا، قبل أن يحصل لها شيء لا يمكن تجنبه.. لمدة طويلة حمتها امها من أي انفعالات عاطفية، لكن حين يقترب ادوارد منها كما هو الآن، ما من طريقة في الدنيا يمكنها فيها مقاومة الإثارة التي يحركها فيها.. وللحقيقة، لا تريد أن تقاومها. وسألها بخشونة:

- لَمَ أنت خائفة مني؟ انت تصرفين طاقة كبيرة في سبيل لا شيء. ألم يقل لك أحد ان مثل هذه المقاومة تثير وحشية الرجل؟

- أنت.. أنت تعرف بهذا أكثر مني.

صاح بها بنفاذ صبر:

- توقفي عن مقاومتي.. لن أؤذيك.. فلماذا لا تتمتعي بهذا؟ لماذا تصرين على المقاومة.. قد تكوني دون خبرة لكنني لست هكذا. واعلم انك تريديني بقدر ما أريدك!

شهقت:

- لا.. لا أريدك! فالنساء لسن.. كالرجال..

- بعض النساء.. اعرف هذا. لكنك لست مثلهن.

- ماذا تعني؟

- بعض النساء لا يتمتعن بشيء. يردن هذا. لكن لا

يستطعن. وأنت لست مثلهن.

احمر وجهها كثيراً:

- لا تتكلم هكذا!

- ولَمَ لا أتكلم هكذا؟

- لأن.. لأن.. هذا غير لائق.

- ولَمَ هو غير لائق؟ ماذا علموك؟ إن على الفتاة أن لا تناقش هذه الأمور؟

- أجل!

- لماذا؟ أليس من الأفضل أن نتصارح؟

- نتصارح؟ أنا لا أسمي هذا بهذا الاسم. أنت تعرف أنك لن تستطيع الكلام هكذا مع أي أحد غيري..

- صحيح.

... فقط لي.. لأن.. لأنك تظن أنني ساذجة.

- لم أقل هذا.

- لكنك قلت انني سريعة التأثر.

- أنت فعلاً هكذا.. وخاصة مع مشاعرك.. وأنت لا تعترضين حقاً على ملامستي لك.. ومشاعرك تفضحك.. فلماذا لا تعانقيني وتكفّي عن تضييع الوقت!

مع انها اخذت تحرك رأسها إلى الجانبين، إلا أنها لم تستطع منعه من شدها إلى صدره وضمها بين ذراعيه.. وبالرغم من ضغط رأسها إلى صدره لدرجة الاختناق إلاّ أنها قررت أن تبقى

سلبية التصرف معه.

وسمعت صوت تنفسه بإحباط، وأحست بازدياد تصلب عضلاته، وأخذت أصابعه تحفر في مؤخرة عنقها بوحشية.. وصاح بها بوحشية:

- لَمَ كل هذا..؟ ما خطبك؟

- أنا.. لماذا..

- هل تظاهرت بأنك لاورا اعطاك دفعاً ما؟ يا الله! عرفت ما يكفي من نساء.. لكن ما من واحدة مثلك!

كانت سيلفيا ترتجف، لكن ذكر لاورا سلبها ضعفها فهذا أمر مريع، وأحست بالسخط، كيف يجرؤ على ذكر أنها نوع من واقي الصدمات عن لاورا.. وانها لا يمكن أن تتجاوب إلا في ظل دوافع محددة؟

وردت عليه بنفس الوحشية:

- انت لا تستطيع التصديق أنك لا تجذبني.. أنت واثق جداً من نفسك حتى انك تصدق فعلاً أنك لا تقاوم! حسناً دعني أقول لك...

التوت شفتاه بمرارة ساخرة:

- لا تزعجي نفسك!

وتركها ليفتح لها الباب:

- اذهبي واكتبي قصتك..! اذهبي وعيشي داخل عالمك الخيالي الذي خلقتيه لنفسك! لأنني واثق كوثوقي بالجحيم، انك

لست جزءاً من عالم الواقع؟

استدارت نحوه.. ليست مستعدة أن تترك الكلمة الأخيرة له، لكنه كان قد خرج.. وتراجع كل غضبها وسخطها وكراهيتها له أمام رغبة سخيفة بالبكاء.

- هل تتناولين القهوة الآن آنسة؟

صوت كوزيت وراءها تماماً لم يجفلها، مع أنه لم يدفع عن ذهنها التفكير بمكان وجود مدبرة المنزل طوال فترة الحديث المتبادل مع ادوارد.

- سأتناول القهوة في المكتبة لو سمحت سيدة كوزيت.

في المكتبة، تركت القهوة دون مساس، تفتش في حقيبتها عن حبوب الدواء، وهي تذيب القرص تحت لسانها. أحست بازدياد يأسها. كلما كانت مع ادوارد كانت تحس ببغض لضعفها.. وهي الآن تحس باشمئزاز من نفسها لدرجة القرف.

مدركة أن لا فائدة في محاولة العمل وهي في هذه الحالة..

انتظرت إلى أن غادرت كوزيت المنزل، وخرجت من المكتبة، وأخذت تتجول من غرفة إلى أخرى تنفس عن قلقها.. حاولت أن تجد مقداراً من رباطة الجأش التي طالما هنأت نفسها عليها، لكنها لم تستطع.. الاحساس بالضعف لم يذهب بعد.. لكن عقلها كان مهتاجاً للدرجة لم يسمح لها بها أن تستريح. وحين ضغطت يدا على قلبها أحست بقلقه واضطرابه. واحست بالمرض، والدوار، وعرفت أن أفضل ما تفعل أن تذهب إلى

الفراش، لكن فكرة الاستلقاء هناك لتتصور ردة فعل ادوارد لرفضها له، تتصوره مع امرأة اخرى.. لم يكن في مقدورها تحمله. قال لها انها تريده.. وكانت تريده. وبيأس.. جعلها في الواقع مريضة.. لمجرد أنها انكرت!

* * *

- ٧ -

نار الغيرة!

فتحت عينيها لتجد وجه ادوارد القلق معلق فوقها.. باقتناع كامل انها تحلم، رفعت يدها لتمررها على وجهه، فأحست بدفء خديه يلسعان اصابعها الباردة. حرّك يدها حول فكه ليقربها من فمه ويطبع قبلة على راحة يدها.. اللمسة ايقظت فيها احاسيس هي ابعد ما يكون عن الحلم... رفرفت عينيها بحدة، لاحظت أنها مستلقية على السرير، وأن الوقت لا يزال بعد الظهر، لكن حين حاولت تذكر ما حدث كان تفكيرها في عتمة كاملة.

- يا الله!

هتافه الشديد جذب اهتمامها، وراقبته، وكأنها من بعيد، وهو يحاول السيطرة على ارتياحه.

www.elromancia.com

- ظننتك لن تصحي.. لا تفعلي هذا بي مرة أخرى.. هل تسمعي؟ لا أظن أنني سأحتمل.

حدقت سيلڤيا به.

- اصحى؟ هل.. هل فقدت الوعي؟

ابعد يدها عن شفتيه:

- لا بد أنك فقدت الوعي، فقد دخلت لأجدك ممددة في الردهة..

ظننتك بداية قد وقعت على السلم. لكنني لم أجد أية علامة عليك، والطريقة التي كنت مستلقية بها.. حسناً، لا أظن أنك وقعت.

- انا.. انا.. اعتقد أنني فقدت الوعي.. ولم أقصد أن أفزعك.

- افزعتني؟ يا الله! سيلڤيا.. حين دخلت ووجدتك، للحظة مريعة ظننتك ميتة! ولا اعرف ماذا كنت فعلت.. ربما قتلت نفسي.

اتسعت عيناها ذهولاً.

- ادوارد..! لا تقل أشياء كهذه.. أنا بخير الآن، حقاً. لا داعي للتوتر.. مجرد اغماء.

لكنها اخذت ترتجف، ولاحظ مكان الصدمة على بشرتها فتمتم وهو ينهض عن حافة السرير ينظر إليها بقلق واضح:

- لا بد أنك كدت تموتين برداً وأنت ملقاة على الأرض!

الأفضل أن استدعي الطبيب سباستيان.. على الأقل قد يعطيك شيئاً، أو قد يكتشف إصابة..

مدت سيلڤيا يداً نحوه ترجوه أن لا يكمل:

- لا! انت تبالغ ادوارد، أنا لا احتاج إلى طبيب.. على الأرجح كنت اجهد نفسي في العمل.. هذا كل شيء.

قسمات وجهه المتوترة اظهرت تردده.. لا بد أنه منقسم التفكير ما بين ارضاء نفسه على سلامتها، وبين تعقيدات اضطراره لتقديمها إلى الطبيب المحلي.. وبطريقة ما كان يجب أن نطمئنه.. فأخذت نفساً عميقاً، وطوحت قدميها إلى الأرض وجلست على حافة السرير، وتطوح رأسها قليلاً، لكنها تجاهلت هذا الدليل على ضعفها ووقفت.

أمسك ادوارد بذراعها وهي تترنح قليلاً وصاح بها:

- هاي! لست بحاجة لإثبات وجهة نظرك! أرى بنفسي أنك أفضل حالاً. لكنك لن تستمري هكذا إذا لم تسترخي.

مدت يدها حول عنقه تتمسك به وقالت:

- بدوت لي مريضاً حين فتحت عيني.. وكأنك شاحب لرؤية شبح.

ابعد يديها عن كتفيه فتابعت مترددة:

- لقد تركتني وخرجت.. فلماذا عدت؟

جاء دوره في التردد.. وتراجع إلى السرير ليسند يده إلى قائمته الخشبية:

- اتصدقي لو قلت لك انني عدت للاعتذار؟

فغرت فمها بشهقة غير مصدقة:

- لا...

- ولِمَ لا؟

- أنا.. أنت.. كنت غاضباً حين تركتني.. ولا أصدق أنك عدت.. لتعتذر.

- قولي لي السبب اذن.

- كي.. توضب أشياءك.. ربما كنت تنوي.. الرحيل.. في الواقع متأكدة من هذا.. ولربما كنت تأمل أن أحاول منعك.. لكن هذه كانت نيتك.. أليس كذلك؟

- كم أنت ذكية، كم أنت ماكرة! حسناً.. اعترف. فالرحيل مرّ في ذهني.. لكنني كنت سأكلمك أولاً.

- صحيح؟

- طبعاً.. ما كنت لأتركك واذهب.. لكن الأمور لم تحدث كما أردت.

وتوجه نحو الباب فلحقت به تتمسك بالسرير:

- إلى أين ستذهب.. الآن؟

التفت إليها بكآبة:

- لن ارحل. إذا كان هذا ما يقلقك.. لكن يجب أن ترتاحي وسأذهب إلى القرية لاشتري السيكار، فقد انتهى ما عندي.

- خذني معك!

خرجت منها الكلمات دون وعي.. وهي في أي حال لم تكن ترغب في رد الكلمات، بل أرادت أن تخرج معه، ارادت أن تكون معه، ولن تهتم بما قد يظن فيها.

فتح الباب بسرعة، وكأنما بإلغاءه لخلوة الغرفة يستطيع إلغاء الجو الحميم الذي نشأ بينهما.. وقال:

- سيلفيا.. لماذا تريدين المجيء معي؟ أنت حتى لست معجبة بي.

- بلى.. بلى! ادوارد..! ارجوك! خذني معك.

- سيلفيا.. القرية لا بتعد أكثر من ميليز!

- وإن يكن؟ احتاج إلى.. هواء نقي.. ارجوك!

استدار عنها فجأة وتمتم.

- لن استطيع منعك..

وسار مبتعداً.. سارعت إلى ارتداء حذائها العالي الساقين وفتشت عن معطفها، وسارعت تركض نحو السلم، خائفة أن يكون قد ذهب دونها.

السيارة كانت من نوع «السيتروان» القديمة الطراز، لكن بالكاد تبدو مستعملة، وجلست إلى المقعد المجاور له وقال لها:

- انها لجان.. او للاورا.. صدقي ما تشائين.

أحست بالسرور لاسنادها رأسها على تنجيد المقعد الناعم والسماح لاطرافها المتوترة بالاسترخاء.. وأداز محرك السيارة ثم

تمتم:

- أنت مجنونة.. أتعرفين هذا؟ لماذا لم تبقي في المنزل إلى أن أعود؟ لست قادرة على التجول.

- لكنني لن أتجول.. صحيح؟

كانت القرية مكاناً جذاباً تحت أشعة شمس بعد الظهر.. قارب صيد كان قد وصل لتوه إلى الرصيف، وتجمع عدة أشخاص حوله بانتظار افراغ صيده. سرب من النورس كان يطير فوق الميناء الصغير منتظراً تنظيف احشاء السمك لرميها في الماء، بينما جلست عدة قطط فوق جوار الرصيف تلعق شفاهها.

صف من المحلات الصغيرة كانت تواجه الرصيف، والشارع الممتد من الميناء باتجاه داخل القرية كان ضيقاً مرصوفاً بحجارة مربعة سوداء.. الأكواخ كلها مدهونة بالأبيض لتزيد من جو النظافة في القرية. والزهور البارزة من النوافذ تعطي زينة نحية متعددة الألوان.

أوقف ادوارد السيارة خارج حانوت، وتركها ليشتري السكاكر. وهو غائب. أخذت تتفرج على افراغ الصيد من القارب، والتفت بعض المتجمعين هناك لينظروا إليها، ولا بد أنهم تعرفوا على السيارة، وأحست بالسرور لعودة ادوارد كي يقود السيارة مبتعداً.

سألها وقد لاحظ احمرار وجهها:

- ما الأمر؟ لفت الكثير من الأنظار؟ حذرتك أن هناك كلام حولنا.. وأنت جميلة جداً لا يمكن تجاهلك.

كشرت وجهها ممازحة:

- أنت لطيف المعشر فجأة.

- لا.. بل صادق.

ابعد يده عن المقود ليضعها فوق يدها:

- أقول لك ماذا.. ما رأيك لو نذهب إلى «دنكرك»؟ سنتناول العشاء هناك، طالما أن السيدة كوزيت غائبة الليلة.

نظرت سيلفيا إليه بارتياب. في استعجالها لمرافقته نسيت حقيبتها، وهي لن تستطيع الذهاب معه دون أن يكون الدواء معها.

- لا استطيع الذهاب.. هكذا. أعني.. أنني لا أضع أي ماكياج!

- تبدين رائعة لي.. ما الذي تعنيه فعلاً؟ إنك لا تريدين الذهاب معي؟

- لا..! أنا.. أحب كثيراً أن أذهب معك..

- اذن؟

- الا يمكن العودة إلى المنزل أولاً؟ كي ارتب نفسي.

- أتعني تغيير ثيابك؟ ارتداء شيء أكثر انوثة؟

تنهدت:

- إذا أردتني أن أفعل.. لكنني لم أجيء معي بثوب سهرة.

- اتريدين هذا حقاً؟ حسناً.. لكن لا تتأخري، الساعة تجاوزت الخامسة الآن. والمسافة تزيد عن الثلاثين كيلومتراً.

لحقها إلى الردهة، وهي تتجه إلى المكتبة سألها:

- إلى أين؟

- أريد احضار حقيبتي.

- سأحضرها لك.. اذهبي واستعدي، أنا بانتظارك بعد ربع ساعة.

حين انهت تغيير ثيابها ووضع الماكياج، وجدت ادوارد ينتظرها في غرفة الجلوس يقف أمام النار.. واستدار حين وصولها.. كان قد غيّر ثيابه كذلك، وبدا لها أكثر جاذبية واحست بخفقان قلبها حين قال لها انه يجدها جذابة.. لكن عيناها انخفضتا إلى ما كان يحمله في يده.. فاضطرت إلى التمسك بالباب لتدعم نفسها حين شاهدته يدير علبة الدواء بين أصبعيه، وتذكرت متأخرة أنها تركته على طاولتها في المكتبة.

- ما هذه؟ ولماذا تستخدمينه؟

شهقت سيلفيا بصمت:

- وهل لك علاقة بالأمر؟ انه دواء.. للربو..

- الربو؟

ونظر إلى الاسم على الدواء وكرر:

- الربو! أنت لديك ربو؟

- أنا.. أنا.. أجل.

- يا إلهي! وأنا من ظننت.. ظنتك.. مدمنة.. لم أكن أعرف.. وهذا يفسر كل شيء.. أليس كذلك؟ يا الله! ظنتك تناولت جرعة زائدة حين كنت فاقدة الوعي!

ابتسمت سيلفيا غضباً:

- أنا لست مدمنة.. أين هي حقيبتي؟

- على الكرسي هناك.. اسمعي، لا مانع عندي.. اعني أن الربو لا يخيفني.. هذا إذا كنت تظني.. ان الربو الذي معك قد يشكل فارقاً.. في مشاعري نحوك..

- ادوارد.. ارجوك!

والتقطت حقيبتها وتوجهت نحو الباب تنتظر.

الرحلة إلى دنكرك، استطالت اكثر مما احتسب ادوارد. الطريق كانت مزدحمة بالعمال العائدين إلى بيوتهم، والزحام العادي للسيارات اضافة إلى بعض السواح يزورون الحقول التي جرت فيها اكبر معارك الحرب العالمية الثانية.

بعد أن أوقف السيارة، وقطعا موقف السيارات الصغير ليدخلا إلى رواق مضاء لنزل جميل، وجدت انه يحوي كذلك على مطعم صغير حميم. رئيس السقاة، وربما يكون المالك، تعرف على ادوارد وتقدم مرحباً:

- ادوارد! لم نتوقع رؤيتك ثانية هذا الاسبوع! طاولة لاثنين.. اليس كذلك؟

- صحيح.. لكن ستتناول بعض الشراب أولاً. والعشاء

بعد نصف ساعة بيار.. هه؟

بابتسامة انسحب الساقي وقادها ادوارد إلى مقصف جانبي ليجلسا على مقعدين مرتفعين:

- ماذا تريدين؟ عصير مع مياه غازية، أم شراب كرز مع التونيك؟

- عصير مع مياه غازية..

والتفتت حولها تتفرج على دفة سفينة قديمة معلق إلى الجدار والمصابيح العتيقة الطراز المعلقة فوق المقصف.

- انه مكان جميل.. هل تأتي إلى هنا دائماً؟

- صديق لي عرفني إلى المكان.. وحدث انني كنت أعرف بيار. كنا في المدرسة معاً.

- هكذا إذن!

امسكت ذقنها بيدها، واسندت مرفقها إلى المقصف.

- وهل بيار هو مالك المكان؟

- اجل.

كان كلامه قاسياً مبتوراً، فرفعت يدها إلى كتفه، حين لم يتحرك، قربت رأسها منه حتى أن أنفاسها لفحت خده:

- لا تغضب مني.. ارجوك! ألا يمكن أن نكون صديقان؟ لا أريد إفساد الأمسية!

أدار رأسه لينظر إليها، فاضطرت لارجاع رأسها قليلاً كي تلتقي نظرته. عن هذا القرب، بدا لها بؤبؤ عينه ذهبي اللون،

والنار فيهما مشتعلة، دليل على مزاجه الملتهب... وقال لها:

- لست غاضباً منك. لكنني من البشر سيلقيا.. وأنت فتاة اذكى من أن لا تعرفي ما بي!

والتفت يدها على كتفه.

- اعتقد أن فستاني اعجبك.

سارع إلى نفض يدها التي بدأت تداعب بها عنقه وأمسك بكوب شرابه.. وأحست سيلقيا بنشوة النصر.. فهذه هي المرة الأولى التي تجرب فيها جاذبيتها على رجل. وردت فعل ادوارد كانت ايجابية دون شك. مما دفعها إلى الرغبة في الاستمرار، فقالت تمرر يدها على ذراعه:

- تعجبني سترتك. إنها ناعمة.. طرية جداً! كم أحببت ملمسها!

تنفس ادوارد كان غير ثابت، لكنه لم يرد، وتشجعت بكبته لأعصابه فعادت إلى رفع يدها نحو عنقه، ثم أدخلت اصابعها في شعره.. فقال لها:

- انصحك بالتوقف عن هذا.. إلا إذا أردت مواجهة متاعب أكثر مما تتوقعين.

حين تراجعت مذعورة، تابع بخشونة:

- اعرف أنك تحسين بالأمان هنا، لكن لا تنسي أننا عائدان إلى المنزل لوحدنا.

وبدا على فمه التواء ساخر، واكمل:

www.elromancia.com

- يعجبني فستانك وأظن مزاجي سيء. لكنني لم اشعر هكذا نحو امرأة من قبل.. وأنا صدقاً لا أعرف كيف أتصرف.

ولف يده حول عنقها وقرّب رأسها إلى كتفه، وكأنه لا يأبه بمن يراقبهما.. وللحظات أولى، لم تكن هي كذلك تأبه لأحد. لكنها عادت إلى وعيها لتجده يمسك بوجهها بين يديه ينظر إليها بتعبير حنون مدمر:

- لماذا لم تعانقيني هكذا بعد ظهر اليوم؟ اعرف انني لست مخطئاً معك.. نارك مخبئة تحت واجهتك الباردة. وأنا أريدك سيلفيا.. احتاجك..

- إدي.. إدي.. أهذا أنت؟ لم أكن أعرف أنك قادم إلى هنا الليلة.

الصوت الأنثوي المستخف كان ينادي من باب المقصف، ولم يتسن لسيلفيا أن تبتعد عن عناقه قبل أن تصل إليهما المرأة الشابة.. وادوارد لم يرغب في أن يتركها، واستدار إلى القادمة بنفاذ صبر.. من هي يا ترى؟

رحب ادوارد بالفتاة.. واشتد ضغط شفتي سيلفيا على بعضهما حين مدت الفتاة اصابع تعلوها اظافر حمراء لتمررها على خده.. واستدار ادوارد إليها:

- سيلفيا..

- نعم؟

- أريد أن تقابلي صديقة قديمة، ماري كوتيون.. ماري..

هذه سيلفيا روز.. إنها تقيم معي في الباتروس لبضعة أسابيع.

كان بإمكان سيلفيا أن تخنقه في الحال.. فعدا عن كون هذه المرأة هي التي يقضي معها كل أوقاته كما سمعت من السيدة كوزيت، فقد راعها أن يقدمها لها على أساس انها مقيمة معه في منزله على نحو غامض.. واحترق وجهها حرجاً مما ستفكر به هذه المرأة:

- اظن من واجبك أن تشرح لها أنني لم أكن أعرف بوجودك حين جئت إلى الباتروس! سيدة كوتيون، أيمكن أن تدليني على حمام السيدات هنا؟ أريد.. أن أغسل يدي.

- اوه.. اوه.. طبعاً.

تبادلت المرأة نظرة مع ادوارد، ثم امسكت بذراع سيلفيا واتجهت بها نحو الباب، ثم أشارت إلى اتجاه الحمامات.

- إنها هناك، أيمكن أن تجديه؟

- أجل.. شكراً لك.

كان الحمام الصغير فارغاً، ونظرت سيلفيا إلى شعرها ووجهها نظرة رعب. بسرعة وضعت قليلاً من البودرة وجددت احمر الشفاه.. وأدركت كم كانت بلهاء حين انكرت اية صلة بإدوارد وهي في هذه الحالة من التشوش والارتباك. أملها في أن تكون المرأة قد غادرت حين تعود، تلاشى لمشاهدتها تجلس إلى المقصف بين رجلين أحدهما ادوارد.. ووقف الرجلان حين اقتربت، وانتظر ادوارد إلى أن جلست وأشار إلى الرجل:

- هذا كلود كوتيون سيلفيا.. زوج ماري.

ردت سيلفيا بأدب على تحية كلود كوتيون.. صحيح أن من الممكن أن لا تكون علاقة ادوارد مع صديقة الطفولة هذه بريئة، لكن هذا ليس من شأنها، وما كان عليها أن تتصرف كما تصرفت.

لم تندهش حين اقترح ادوارد ان يتعشوا معاً. وبسرعة تحضرت طاولة لأربعة، وخدمهم بيار بنفسه وكان واضحاً من الحديث أن الزوجان معروفان كذلك له.

حين خرجوا من المطعم، واتجه الزوجان إلى سيارتهما، لم تتمالك نفسها من الترنح قليلاً، فسارع إدوارد إليها:

- ما بك.. اتستطيعي الوصول إلى السيارة؟

دون أن ترد عليه اتجهت إلى حيث السيارة تقف، فهز كتفيه دون مبالاة وتبعها ليفتح لها الباب، بعد أن أقفله، راقبته يستدير من الأمام نحو مقعده.

لحقت بهما سيارة الزوجين كوتيون، وأضاء نورها سيارة السيتروان بالكامل، فاضطرت سيلفيا إلى متابعة النظر إلى الأمام دون حراك.. تتابع أضواء السيارات القادمة باتجاههما جعلها تغمض عينيها بين الحين والآخر.. ولم تعد تعرف في أي مرحلة من الطريق تركهما الزوجان، فقد فتحت عينيها لتجد محرك السيارة متوقف، وحده دمدمة البحر المخنوقة تزعج هدوء الليل.

بإجفال مدت يدها إلى مقبض الباب.. وهي تفعل انفتح، فرفعت عينيها لترى امامها وجه ادوارد النافذ الصبر.

- استيقظت؟ بدوت لي كالميتة حين تركتك!

استجمعت شتاتها بصعوبة وقالت:

- هل هذا مجرد رأي، أم رجاء.. على الأرجح سأموت لو تركتني نائمة هنا طوال الليل.

اشتد ضغط شفتيه:

- ما حصل انني كنت افتح الباب، تحضيراً لحملك إلى غرفتك.. لكن بما أنك قادرة على مهاجمتي، بإمكانك الصعود لوحدك!

وعاد نحو المدخل المضاء، وأحست سيلفيا بالتعب الرهيب.. كان يجب أن تعرف أنه لن يتخلى عنها فهذا تخالف طبيعته.. وإذا لم تكن قد تعلمت شيئاً عنه، فعلى الأقل تعرف أنه شفوق وحنون.

دخلت الردهة، لتجد باب المكتبة مفتوحاً، ودون تردد وقفت أمام الباب المفتوح، وتنحنحت لتجذب اهتمامه. لكن نظرته اليها كانت سطحية سريعة، مصاحبه برفع حاجبه فقالت:

- آسفة.. آسفة على كلامي هكذا الآن.. ولأنني كنت فظة.. نحو السيدة كوتيون.

ساد صمت للحظات.. ثم استدار إليها بالكامل،

واجفلت لأنه لم يقل سوى:

- لا بأس في هذا اذن.. صحيح؟

- صحيح؟ وهل كنت تتوقع مني الاعتذار؟

- أجل.

- لا يبدو عليك هذا.

- أنا أسف.

- جملة لا معنى لها.

- اجل.. أليس كذلك؟

برودة ظاهر، مع ذلك عليها أن تجرب التقرب بعد:

- لست أدري ما دهاني.. أنا لست في العادة هكذا..

- انسي الأمر!

- كيف يمكنني هذا؟

- بسهولة.. فأنت تنسين أشياء كثيرة بسهولة ملحوظة، حين يناسبك هذا.

شدت قبضتها:

- أيعني كلامك شيئاً محدداً؟

برقت عيناه للحظات، ثم هز رأسه وتنهد:

- لا.. لا.. اذهبي للنوم. سأراك في الصباح.

* * *

- ٨ -

أنا لك.. لكن!

تأخر النوم كثيراً في المجيء.. وبقيت سيلفيا تتقلب لساعات.. جذبها احساس بالذنب والإدانة.. مدركة أن البقاء هنا يصبح بسرعة امراً متعذراً. خلال النهار بإمكانها خداع نفسها بأنها قادرة على السيطرة على الموقف، لكن حين تستلقي في الظلام، لا تعود قادرة على إنكار انها تتلاعب بعواطف اقوى من أن تستطيع السيطرة عليها.

حبها لادوارد أصبح واضحاً، لكنها لا تستطيع أن تخبره.. بطريقة ما عليها أن تجمع قوتها لتغادر هنا، قبل أن تستسلم بالكامل إلى رغبة غير واقعية، بأن تتقبل كل ما كان مستعداً لتقديمه لها.

بأفكار كهذه، وجدت سيلفيا صعوبة في السلوان.. حتى

www.elromancia.com

فكرة الرحيل في الصباح كانت مثيرة للألم.. ردة فعل ادوارد لتوضيحها حول الأدوية فكانت تعذبها، وكان من المستحيل أن تتحول افكارها من هذه النقطة إلى استنتاج حتمي.. لقد قال ان الربو لا يزعجه، لكن ما قد تكون ردة فعله لو اكتشف أنها نصف امرأة عاجزة في الواقع. مثل زوجة أبيه، التي تحدث عنها باستخفاف؟

استفاقت بعد السابعة بقليل على أصوات الطيور، ووجدت أن النوم بعد مستحيل، بالرغم من الراحة التي يوفرها السرير لها. فقررت أن تنزل المطبخ لتحضر لنفسها كوب قهوة قبل حضور السيدة كوزيت.

حملت فنجانها وقطعت المطبخ إلى الردهة، تمسك اطراف ثوبها لتصعد السلم. كان عليها المرور بغرفة ادوارد في طريقها إلى غرفتها، ودون رغبة، ترددت أمام بابه. قد يرغب في كوب من القهوة.. محاولة تبرير موقفها هناك. لكنها كانت تعرف أن هذا ليس سبب رغبتها الملحة في رؤيته.

والكوب لا يزال في يدها ادارت مقبض الباب، وتركته لينفتح إلى الداخل بهدوء.. وجدت الغرفة معتمة، بالرغم من أن الشمس كانت تدخل من بين الستائر، لكنها شاهدت على الفور أن ادوار لا يزال نائماً. كان مستلقياً على ظهره، يداه فوق رأسه. كان الغطاء يكشف أطرافه السفلى وصدره فقط.. وأحست بتسارع جريان الدم في عروقها..

ـ لمن أدين بشرف هذه الزيارة؟

نبراته الحادة رفعت رأسها بخوف، واهتز الكوب في يدها، دون أن تلاحظ كان قد فتح عيناه وأخذ ينظر إليها بعدائية.

ـ اوه.. انا.. جئت لك.. بالقهوة!

ـ القهوة؟ ولم تأتيني بالقهوة؟

ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ ولماذا.. ادخل غرفتك لغير هذا السبب؟ هل ترغب في.. اخذ هذا الكوب؟

ـ حسن جداً.. لَمَ لا؟ إذا كان هذا كل ما تودين عرضه عليّ.

أخذ يراقبها وهو يرفع الكوب على فمه.. لكنها لم تنسحب على الفور.. وبما أنه لم يتحرك ليلمسها، فقد أحست بالخذلان.. وانتظرت إلى أن تذوق القهوة، ثم قطبت للتكشيرة التي ظهرت على وجهه دليل عدم رضاه عن المذاق.

ـ إنها ليست محلاة.. هل أنت واثقة أن الكوب لي؟ ظننتك تعرفين أنني أحب القهوة حلوة.

ـ أنا.. أنا.. اه..

ـ لا تقولي آسفة مرة أخرى.. ليس بعدما حدث ليلة أمس!

ووضع الكوب على طاولة قريبة من السرير وأكمل:

ـ كنت تعتقدين أنني نائم، لكن ما الذي دفعك للدخول؟

www.elromancia.com

الفضول؟ بكل تأكيد تعرفين أنني لا أخبيء شيئاً عنك؟

احمرّ وجهها وتراجعت إلى الوراء وقالت بإصرار:

- جئتك بالقهوة.. فإذا لم تكن ترغب بها سآخذها.

- وهل ستأخذينها؟

ترددت قليلاً، ثم بصعوبة ردت:

- أجل.. ادوارد.. أنا.. ارجو أن لا يكون اصدقاءك قد ظنوني.. حسناً.. سخيفة ليلة أمس. أعني.. لم أكن اعرف.. مدى علاقتك بالسيدة كوتيون.

اسودت عيناه الصفراوان.

- وهل يهم هذا؟

- أجل.. حسناً.. اعتقد. اعني.. كنت.. تعانقني.. وأحسست.. أحسست..

- بالإحراج؟

- لا! بل الخجل! فعلى أي حال لم نتقابل سوى منذ أسبوع.

ضحك:

- نتقابل.. حسناً اعتقد أن هذا كلام صحيح نوعاً.

- لا تسخر مني!.. تعرف ما أعني!

- أجل أعرف.. ماذا لديك لتقولينه سيلفيا؟ أظن أن ليلة أمس برهان يكفي على عدم قدرتنا على الاستمرار هكذا. أنا لن أستطيع على أي حال. أظن الوقت حان للسفر إلى لندن لتبلغي لاورا انها أصبحت ارملة. لكن ليس ارملة ثرية، مرتاحة بما

يكفي. وهذا ما سيسرها دون شك.. أما أنا.. فسأعود إلى جنوب فرنسا.

فغرت سيلفيا فمها ذعراً.. وهي مستلقية في السرير بدا لها الرحيل الحل الوحيد.. لكن بمواجهة الأمر، أحست بالشك والقلق، وبإحساسها نحو هذا الرجل.. هذا جنون، لكن كيف ستتمكن من تركه يذهب، وهي لا تعرف ما إذا كانت ستراه ثانية؟

- اعتقد أن. هناك.. فتاة تنتظر في جنوب فرنسا مستعدة للزواج بك وحمل أطفالك.

- تقولين أكثر الأشياء جنوناً.. أتعرفين هذا؟ لماذا تقلقي نفسك بفتاة مفترضة؟.. في الواقع، لي ابنة خال يمكن أن تفي بالمراد.. هل اكتفيت؟

ارتجفت:

- اوه.. ادوارد.! وماذا.. لو قلت انني لا أريدك أن تذهب؟ هل سيكون هذا جنون كذلك؟

وتقدمت نحوه، تقاوم يأساً يضعف مقاومتها:

- ادوارد.. ارجوك.. اريدك أن تبقى.

- سيلفيا.. سيلفيا.. هذا ليس بالمكان المناسب لحديث كهذا.

تقدمت أكثر. وهي تفعل أحست بتوتر جسده:

- ولماذا؟ ادوارد.. لا زال هناك بضع أيام من اجازتي. ألا

www.elromancia.com

يمكن لنا.. أن نبدأ.. من جديد؟

- يا إلهي! سيلفيا! أنت لا تعرفين ما تطلبين.. أنا.. أنا من البشر، ولست آلة. العيش معك.. في نفس المنزل، يدفعني إلى الجنون.. أتعرفين هذا؟ لست أدري ما الذي فيك دخل إلى داخل مشاعري.. لكنني لن أستطيع تحمل المزيد.. من هذه.. الصداقة.. التي تريدينها.

- كيف تعرف ما أريد؟

- لا تقولي هذا سيلفيا.. لا تخدعيني! انت لست النوع الذي يقبل بهذا.. وأنا لا أريدك هكذا. ولست أدري ماذا تريدين بالضبط.. لكن لا تتلاعبي معي.

- اوه.. ادوارد..

احست بلسانها يجف.. لم تكن قد احست بمثل هذا تجاه رجل من قبل.. ليس فقط في حبه، بل في أن ترغب به..

- ادوارد.. اتحبني؟

- فليساعدني الله.. احبك!

واطلق آهة اكتفاء، فسارعت إلى التمتمة بأن السيدة كوزيت سرعان ما تصل، فرد عليها:

- فلتذهب إلى الجحيم! انت كل ما اهتم به.. وكل ما أريده.. فأنا لم أعرف معنى كلمة الحب إلا حين التقيتك.

لم يكن قلبها منيعاً ضد مثل هذه التصريحات لكن معرفتها بأنها غشته كان يعذبها.. فماذا يتوقع منها الآن؟ ماذا تستطيع أن

تعطيه؟ وهي لا تملك الكثير؟

وتابع:

- أحبك.. أنت رائعة.. ناعمة.. حريرية الملمس.. وحلوة!

- اوه.. ادوارد!

- لا تتكلمي دعيني فقط انظر إليك.. هل تحبيني سيلفيا؟ متى ستقبلين الزواج مني؟

- ادوارد.. ادوارد..

- أيمكن لأحد منكما أن يبلغني ماذا يجري هنا؟

الصوت الأنثوي المتصلب، لم يكن متوقعاً.. لكن السيدة كوزيت لا يمكن لها أن تجرؤ على الدخول عليهما هكذا. لكن سيلفيا كانت مندوخة بفعل العناق بينهما حتى أن رؤيتها للاورا، تحدق بهما من الباب المفتوح، لم تدفعها إلى أي ردة فعل سوى عدم التصديق.. اما الصدمة، وردة الفعل فستأتينا فيما بعد.

ردة فعل ادوارد كانت أقل بروزاً، فقد لفت رأسه إلى الوراء ينظر إليها بعينين ضيقتين متفحصتين، برده على سؤالها كان بارداً بقدر ما كان سؤالها حاراً.

- لا بد أنك لاورا! كنت أعرف أنك ستظهري عاجلاً أم آجلاً.

اخذت يدا سيلفيا ترتجف وهي تمشط شعرها بسرعة، كانت

www.elromancia.com

تحاول أن تنتهي، لكن اعصابها لم تطاوعها.. ومع أنها تابعت اقناع نفسها بأن لا شيء تخاف منه، إلا أن الكلمات كان لها رنين أجوف. خفق قلبها بعنف.. وتذكرت كم هي ضعيفة معرضة للخطر.. ولم يكن من السهل خداع ادوارد، لكنها نجحت.. الآن لاورا هنا، وبإمكانها بسهولة أن تدمر لها اوهامها بكلمة ترميها دون اكتراث.

تنفست مجدداً وبعمق، ثم استقامت لتنظر إلى نفسها في المرآة.. لاورا في الأسفل الآن تنتظرها.. وادوارد من المفترض أن يكون يغير ملابسه الآن.. مع أنه بدا أقل تأثراً بظهور زوجة أخيه مما بدت هي.. وعلى عكس ما سمح لها بالخلاص يوم ضبطتهما ماري كوتيون يتعانقا في المطعم، هذه المرة ابقاها ملتصقة به يغيظ لاورا بعلاقتهما الحميمة.

صحيح أن لاورا استشاحت غضباً، لكنها بدلاً من أن تطالب بمعرفة من هو ادوارد، ادارت ظهرها لتترك المكتبة، ترمي من فوق كتفها كلماتها القائلة بأنها ستتحدث إلى سيلڤيا في غرفة الجلوس بعد قليل.

وكأن التفكير بادوارد أحضر صورته، فقد انفتح الباب وراءها ودخل. كان يرتدي ثياباً ألوانها قريبة من ألوان ما ترتديه.. واقفل الباب وراءه.. فأحست بالخوف.

ـ لماذا.. من المفترض أن تنزل إلى تحت.. أعني لاورا تنتظر وقد تتساءل عما نفعل.. وبما أنني لا اعرف لماذا.. هي

هنا..

استخدم ادوارد نعتاً قبل اسم لاورا لم تسمعه سيلڤيا من قبل:

ـ اعرف لماذا هي هنا! ارسلت في طلبها يوم أمس.. أبرقت لها حين ظننت أنني اشتري السيكار!

ـ انت.. ارسلت في طلبها؟ ارسلت تطلبها؟ لكن لماذا؟

ـ أنا.. كنت قلقاً عليك.. بدوت لي.. يا الهي! كيف لي أن أعرف.. لقد ظننت..

صمت ليتقدم نحوها:

ـ هاي.. لا تنظري إليّ هكذا. لقد أخفتني بالأمس.. وظننت أنني الملام على فقدانك الوعي.. إلى أن قلت لي.. حين رأيت الدواء.

ـ ادوارد.. ارجوك..

لم تعد تستطيع الاصغاء إليه.. ارادت أن تقول له الحقيقة.. لكن الكلمات، بكل بساطة، رفضت أن تخرج من فمها.

ـ سيلڤيا.. يجب أن نوضح الأمور بيننا، قبل أن نتورط مع السافلة التي تحت. أنا أحبك.. وتعرفين هذا.. واعتقد أنك تحبيني.. فوافقي على الزواج مني.. ارجوك! لا تدعي لاورا تفسد الأمور علينا.. تذكري، هي من ارسلتك إلى هنا. تذكري ماذا فعلت بجان. لا تدعيها تفسد لك مشاعرك

باقناعك أنني قذر دون مباديء، أكثر مما اشعر الآن!

عضت على شفتها السفلى ثم:

- ادوارد.. ! أنت لا تعرف ماذا تقول.

- بلى.. اعرف.. سيلفيا ماذا عليّ أن أفعل لأقنعك؟ أنا لست رجلاً فقيراً إذا كان هذا ما تفكرين به.. وقد لا أكون ثرياً كذلك. لكننا لن نجوع. وإذا لم ترغبي في الذهاب معي إلى جنوب فرنسا.. سأجد عملاً في انكلترا.. اتعلمين دونا هنريت ستحبك.

- ادوارد.. لا.. ! لن استطيع الزواج منك!

- ماذا تعني؟

كان ينظر إليها وكأنه لا يصدق ما سمع، لكن تحت قناع الألم، كان هناك مرارة جاءت بالتواء مبتسم لفمه.. ثم تابع:

- فهمت.. أنا لست جيداً لك.. أنا ابن حرام أمه غجرية! اوه.. أجل.. أفهمك تماماً.. يا الهي.. كم يخفي مظهرك البارد تعبداً في التناقضات.. ربما اسأت الحكم على لاورا.. على الأقل هي لا تحاول إخفاء العيوب في شخصيتها. إنها صادقة في اخفاءها، ولا تدعي عواطف غير قادرة على الاحساس بها!

- ولا أنا.. ادوارد.. ليس الأمر أنني لا.. اعني.. الأمر لا يتعلق بك.. ولا بأصلك.. اوه.. يا الهي! أنا لا أريد الزواج.. من أحد!

نظر إليها ساخراً، ثم قال بهدوء:

- هناك شخص آخر.. أليس كذلك. إنه الرجل الذي هربت إلى هنا لتنسيه.. لا زلت تحبينه؟ فماذا ستفعلي الآن؟ أهو متزوج؟ ألم تستطيعي إقامة علاقة معه لهذا السبب؟ ما هو شعورك الآن؟

أحست باليأس:

- قلت لك أن الأمر ليس هكذا، ادوارد ليس هناك سواك.

- لا؟ حسناً، غير مهم.. ربما سكون لي حظ اوفر مع لاورا.

- ماذا تعني؟

- ولماذا لا؟ لا أظنها ستمانع. لدي إحساس أن صديقتك الوفية لن تتردد في أخذ مكانك!

أصيبت سيلفيا بالصدمة وصاحت ساخطة:

- اوه.. اوه.. لن تفعل!.. أنت.. لا يمكنك!

- لا يمكنني؟ حسناً.. سنرى!

شهقت سيلفيا واجتاحتها رغبة في القيء.

- أنت.. أنت.. أنا.. أنا..

اكمل لها كلامها ببرود:

- تكرهيني؟

اكملت تشرق بدموعها:

- أنت.. قلت أنك.. تحبني.. ثم.. ثم..

- أتغارين؟

هزت رأسها ثانية وأدارت ظهرها.. وسمعت الباب يصفق وراءها.. فاستدارت مرة أخرى لتنظر خلفه تقاوم الدموع التي حرقت عينيها.. لكن، ما يمكن لها أن تفعل غير هذا؟

في الأسفل ترددت قليلاً قبل أن تتجه إلى غرفة الجلوس. حيث وجدت ادوارد ولاورا جالسان تجاه بعضهما، ومدبرة المنزل تضع ابريق القهوة قرب لاورا. رفع الجميع رؤوسهم حين ظهرت سيلڤيا، وبعد تردد بسيط وقف ادوارد.. فقالت سيلڤيا بحرج:

- اوه.. ارجوك.. اجلس. آسفة لتأخري.

اضطرت للجلوس إلى جانب ادوارد، فقد كانت لاورا تجلس في المكان الذي اعتادت الجلوس فيه.. وسألت السيدة كوزيت:

- أهذا كل شيء سيدي؟ أواثق أنك لا تريد الفطار.. ليس هذا من عادتك..

- شكراً لك سيدة كوزيت.

بمغادرة مدبرة المنزل، ركزت لاورا عينيها على سيلڤيا بنظرة كريهة مشؤومة. وقالت:

- حسناً؟ ألا تظنين أن من الأفضل تقديم تفسير لكل هذا؟ لماذا ارسلت تلك البرقية السخيفة مثلاً؟

اتسعت عينا سلڤيا:

- لماذا.. ماذا؟ أنا لم أرسل لك برقية!

- بالطبع فعلت..

قاطعها ادوارد ببرود:

- أنا أرسلت البرقية.. وأنا آسف سيلڤيا، اضطررت لاستخدام اسمك.

- اسمي؟

صاحت لاورا بصوت غاضب حاد:

- كيف تجرؤ على هذا؟ كيف تجرؤ أن تأتي بي إلى هنا ببرقية مزيفة..؟ كيف تجرؤ على الادعاء..

قال ادوارد ببرود:

- جان مات.. منذ شهر.

- ماذا؟

استلقت لاورا إلى الوراء في كرسيها، بينما التفتت سيلڤيا إلى ادوارد:

- اسمي؟ ماذا قلت في برقيتك؟

هز كتفيه:

- قلت ان جان مات.. كنت أعلم أن هذا هو الخبر الوحيد الذي سيأتي بها إلى هنا.

- لكنك قلت..

www.elromancia.com

- عنيت ما قلت تماماً.

سألته لاورا بهدوء:

- من أنت؟

- ألا تعرفين؟ أليس لديك فكرة؟ ألم يذكرني جان مطلقاً؟

- انت.. أنت الأخ المجهول.. الشقيق من أم أخرى..؟

- أجل.. كان لنا أب واحد.

- صحيح.. اذكر اسمك وقد ذكره بغموض.. لكن ألم تكن في أميركا الجنوبية؟ لم أشاهدك مطلقاً. وإذا.. كان جان قد مات.. إذن لا بد أنك أنت من أرسل الرسالة:

سألت سيلفيا:

- أية رسالة لاورا؟ قلت لي إن المنزل فارغ اتذكرين؟ ماذا قال ادوارد في رسالته جعلك تخافين كثيراً حتى أنك ارسلتني مكانك؟

جمدت لاورا للحظات.. لأول مرة في حياتها لم تستطع أن تجد رداً ملائماً على سؤال.. وحدقت في وجه سيلفيا بشفتين مضمومتين بشدة. فأكملت سيلفيا:

- ظننت أن جان هنا.. فارسلتني وأنت متأكدة أنه ينوي أذيتي! يا للسماء لاورا. ألم تهتمي بما كان يمكن أن يحدث لي؟ ألم تهتمي بما كان يمكن لادوارد أن يفعل بي؟

تنحنحت لاورا دليل ارتباك وتمكنت من ايقاف تدفع التهجم عليها من الفتاة الأخرى:

- لم تكوني تحت أي خطر سيلفيا.. وأنا أرى أن الموقف لم يتحول ضدك أبداً، وإلا لما كنا نجلس هنا نناقش هذا الآن.. أليس كذلك؟

تدخل ادوارد على الفور:

- وهل صدقت حقاً أن جان قد يهددك لاورا؟

- وماذا يجب أن أصدق إذن.. ادوارد؟

كلماتها كانت مليئة بالتحدي.. بمعرفتها لها حق المعرفة عرفت سيلفيا أنها لم تكن تسيطر على نفسها كما تدعي، وأن ما قاله ادوارد في تلك الرسالة لا زال يقلقها..

وجدت سيلفيا نفسها تسأل:

- كيف وصلت إلى هنا لاورا؟

- طرت إلى دنكرك.. وسأعود بعد الظهر إلى لندن. لماذا؟ أتريدين المجيء معي سيلفيا؟

- أنا.. أنا..

تدخل ادوارد ليقول بصراحة:

- سيلفيا ستبقى.. فلدينا عمل لم ينته بعد بيننا.

سألت لاورا بحدة، وسيلفيا تلتفت لتنظر إليه:

- صحيح هذا سيلفيا؟.. أهو العمل الذي قاطعته عليكما في المكتبة؟ اوه يا الهي! لم أكن لأظن أنكِ قد تكوني بلهاء هكذا!

صاح بها ادوارد:

- اصمتي.. سيلفيا ليست بحاجة إلى نصيحة منك. إنها كائن بشري طبيعي ولها مشاعر.. وهذا أمر لا تعرفين عنه شيئاً.

- اوه.. حقاً.. وأنت تعرف.. كما أعتقد؟

- أكثر منك لاورا. أكثر منك. وهي تعرف مشاعري.. وتعرف كيف تصرفت معها وان اعتقد أنها انت..

- ظننتها.. أنا.. اوه.. لا! كم كان هذا مثير لك.

مثيراً! أحست سيلفيا أنها على وشك الهستيريا فابتلعت ريقها لتهدىء نفسها.. ألم تفكر لاورا أبداً بما كان ينوي أن يفعل بها؟

رد ادوارد بصوت بارد كله شرّ:

- كان الأمر مثيراً بالفعل. لكن كما ذكرت أول الحديث، لم يكن هذا.. ضد مصلحتنا.. معاً.

بللت لاورا شفتيها بارتباك:

- اسمع.. الم يصبح كل هذا.. مبالغ به؟ اعني أن جان مات.. وأنا آسفة.. وما غير هذا أقول؟

- كان يمكن لك أن تذهبي لتريه قبل أن يموت. لقد توسل اليك! لكنك تجاهلت كل رسائله.

- كنت مشغولة. فأنا أعمل. اسمع ادوارد، أنا عارضة أزياء.. ولا أستطيع أن اترك عملي هكذا.. بكل تأكيد تستطيع فهم هذا. أنت رجل عاقل.. أنا وجان كنا مفترقان. ولم يبق

لنا شيء نقوله لبعضنا.

صاح بها:

- أنت التي تركتيه.. وهو توسل إليك في عيد الميلاد.. أتقولين لي ان العارضات يعملن طوال فترة الميلاد؟ لا أصدق!

تلوت لاورا بقلق تحت نظرته الحادة:

- أنا أكره المرض.. لا أتحمله.. وكان يعرف هذا.. ولا بد أنه فهم.

- صحيح؟ لقد أنهى جان حياته بيده.. هذا ما فهمه! قتل نفسه وصورتك ملتصقة في يده!

- لا!

ظهر الرعب على لاورا، لكن ادوارد لم يرحمها:

- بلى.. لم يكن يريد أن يعيش بعد أن عرف أنك لم تعودي تهتمي به.. تسلق المغطس، وقطع شرايينه بمرآة مكسورة.. وتناثرت الدماء.. دماء في كل مكان!

تأوهت لاورا:

- أووه.. لا!

الصورة الدموية التي رسمها صدمتها، ورفعت يدا مرتجفة لتضعها على فمها، وكأنها تخاف أن تتقيأ.. ولا بد أنه يقصد هذا.. لكنه لسبب ما بقي صامتاً..

فجأة، ارجع كرسيه إلى الوراء ووقف. فتطلعت الفتاتان إليه، بدرجتين مختلفتين من الارتباك.. حين تكلم كان صوته

www.elromancia.com

خشناً.. لكن دون تهديد:

- لا بد أنك عرفت الآن انني لن أطبق عدالتي عليك.

- لن تفعل؟

- لا.. الوقت، والظروف.. عملا على تخفيف رغبتي في الانتقام.. وأنت حرة في الذهاب.. لن أمنعك.

تنحنحت لاورا للمرة الثالثة، بارتباك، وزاد بروز ارتباكها حين حاولت الوقوف، فأرسلت كرسيها إلى الوراء ليقع ويصدر صوتاً قوياً.. ولاحظت سيلڤيا موجات السخط تتقصد منها وهي تنحني لتلتقط الكرسي.. وخمنت سيلڤيا أن لاورا تبحث عن شيء تقلب فيه الموقف إلى صالحها.. وسمعتها تقول:

- أخبرني.. اهذا هو السبب الوحيد لارسالك في طلبي؟ أم هناك شيء آخر يجب أن أعرفه؟

وقفت سيلڤيا:

- كنت محظوظة جداً لاورا.. فقد استخدمتني ككبش فداء كطعم في فخ من صنع يديك! فلا تحاولي معاملتي بتنازل الآن؟

- يا عزيزتي.. أنا لا أحلم بهذا! أرى أنك لست بحاجة إلى مساعدتي.. فلقد رتبت فراشك بنفسك كما يقال.. لكنني آمل أن تتمتعي بالنوم فيه.

افضل ما تفعله سيلڤيا الآن، أن تغادر الباتروس وفي أسرع وقت ممكن. لكن ليس مع لاورا.. فصداقتهما انتهت. ستعود إلى كاليه، تسلم السيارة، تركب الباص البحري وتعود إلى

لندن.. حال أن تغادر لاورا المنزل. وقالت:

- أنا راشدة لاورا. ولست بحاجة إلى اذن أحد كي.. كي.. لأي شيء.

- طبعاً.. وأنا واثقة أن كليكما يعرف ما سيحصل عليه.

قال ادوارد فجأة:

- طلبت من سيلڤيا أن تتزوجني. وقد يريح هذا ضميرك.. فأنا واثق أنك تهتمين بما يحصل لها.

ارتجفت ساقا سيلڤيا.. لم تتوقع الدعم منه. ليس بعدما قاله لها في غرفة النوم. لكنها لم تستطع إلا أن تقول:

- لكنني.. رفضت.. وشرحت له، انني لا أريد الزواج من أحد.

ردت لاورا، كما كانت سيلڤيا متأكدة أن تفعل:

- حسناً.. هذا لا شك أفضل حل يا عزيزتي.. على كل حال، ليس هناك رجل قد يرضى بعاجزة كزوجة له.. ولا بد أن ادوارد كان يعرض عليك الزواج لاحساسه بأنه مجبر على هذا!

* * *

- ٩ -

لست عاجزة!

دوى صوت ادوارد في الصمت الرهيب الذي تلا قول لاورا الحاقد:

- لا يمكن أن تكوني مخطئة أكثر.. مرض سيلفيا، لا شيء يدعو إلى الخجل.. ولا شيء يدعو إلى أظهاره وكأنه شبح رهيب.. وأنا آسف لتخييب أملك لاورا، لا شيء مما تقولينه جديد عليّ.

جمعت سيلفيا شتات احاسيسها بينما كان وجه لاورا يكشف عدم تصديقها.. فهذا آخر ما كانت تتوقعه.. لكن لا يزال امامها الوقت بما يكفي لأن تقول شيئاً آخر قد يدمر افتراض ادوارد بأنها تتحدث عن الربو:

- أنت تعرف؟ أتعني أنها قالت لك.. هذا خبر جديد!

- لقد اكتشفته بنفسي.. والآن، أظن من الأفضل أن تغادري هنا قبل أن تقولي شيئاً لن استطيع غفرانه لك. محاموا جان سيتصلون بك في لندن، متى اعطيهم الإذن. وإذا كان هناك أي تعقيدات، بإمكانك الاتصال بي عبر شركة سيڤير.

نقلت لاورا نظرها من أحدهما إلى الآخر بعينين ضيقتين حاسدتين:

- هكذا اذن! واعتقد أنك تستعد لوراثة حصة جان من الأعمال.

- لم يكن لجان حصة في أعمال العائلة.. وداعاً لاورا.. اشك في أن اراك ثانية، وإذا كان لي شأن بالأمر، فسيلفيا كذلك لن تراك!

تشدقت لاورا تجرب حظها إلى آخر الحدود:

- آه.. لكن سيلفيا لن تتزوجك ادوارد. وبالرغم من بطولتك المؤثرة، سيلفيا بحاجة إلى كل أصدقائها.

رد بسخرية:

- باصدقاء مثلك، لن تحتاج إلى أعداء.. أووه.. اخرجي من هنا لاورا.. قبل أن أستجيب إلى ما يحثني على وضع يدي حول عنقك!

ترددت لاورا.. لكن شيئاً ما في وجه ادوارد حذرها من انه لا يمزح.. مع ذلك حولت اهتمامها إلى سيلفيا وهي تتجه إلى الباب، وقالت:

- رأيت تشارلز يوم الثلاثاء سيلفيا.. وأظنه كان يحاول الاتصال بك. وقلت له انك عائدة خلال بضعة أيام.

فغرت سيلفيا فمها سخطاً.. تشارلز! السبب في مجيئها إلى هنا.. بدت اسابيع طويلة وليس مجرد أيام منذ فكرت به آخر مرة.. لكنها لم تحس نحوه بشيء سوى عدم الاكتراث.. فحركت كتفيها كراهية:

- تشارلز وأنا ليس بيننا ما يقال بعد. شكراً لك على الرسالة. لكن ما بيني وبينه انتهى.

- كما تشائين.. حسناً، على الأقل، مجيئي إلى هنا علمك درساً، سيلفيا.. فأنا وجان لم يكن لنا أولاد، وانظري ما حدث لنا!

رد ادوارد باشمئزاز:

- بدأت تضجريني لاورا؟

لكنها تجاهلته مكملة كلامها إلى سيلفيا:

- اوه.. اعلم أن لي مهمتي.. وهي مهمة لي.. لكن لو كان لنا عائلة.. أولاد.. هل شرحت له أنك لا تستطيعي الانجاب سيلفيا؟ أو على الأقل هناك مخاطرة كبرى في الحمل والإنجاب؟

مدت لسانها من بين شفتيها بإثارة، وكأنها تنكر:

- هل يسمح للنساء في مثل حالتك بتناول حبوب منع الحمل؟

آه.. حسناً.. من المؤسف أن يكون تعارفنا لوقت قصير ادوارد. فأنا واثقة أن بيننا أشياء كثيرة مشتركة.

دون أن تتفوه بكلمة أخرى غادرت.. وعلمت سيلفيا أن ادوارد سيطالبها بتفسير.. فسارعت بدورها للخروج، تقطع الردهة لتصعد السلم بسرعة.. تريد أن تبتعد، أن تكون لوحدها قليلاً.. حين خرج إلى الردهة وناداها نافذ الصبر، تجاهلت النداء.

من غرفتها أخرجت حقيبتها ووضعتها على السرير، ثم فتحت الخزانة والأدراج وبدأت بنقل اغراضها إلى الحقيبة.. ما هي إلا قليل حتى دخل ادوارد الغرفة ووقف عند الباب، وسأل:

- ماذا تفعلين؟ إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟

- أنت تعرف ما أفعل، وإلى أين سأذهب. لن استطيع البقاء هنا. ليس بعد الآن. ثم.. لا فائدة من بقائي.. اعني.. يبقى جيداً ما يبقى دائماً.. لكن..

صمتت شاهقة وقد أمسك بخناقها، وصاح بوحشية:

- اصمتي! لست أدري ما كان الذي جرى تحت.. لكنني انوي أن أعرف! ماذا كانت تعني؟ لماذا قالت انك لن تتمكني من إنجاب الأطفال..؟ هذه أول مرة اسمع فيها أن مريضة ربو لا يمكنها أن تحمل!

- أنت.. تؤلمني.. ادوارد..

www.elromancia.com

- وبإمكاني إيلامك أكثر إذا لم احصل على الحقيقة! لأجل الله سيلفيا.. أليس لي الحق أن أعرف؟

استلزمها كل ما أوتيت مَن عزم لتبتعد عن قبضته. ووضعت يديها إلى عنقها تحميه، ثم سألته بصوت مصدوم متهدج:

- لماذا تريديني أن أقول لك؟ وما الذي يهمك بما تعنيه لاورا؟ قلت لك لن أتزوجك.. فلا سبب لك للقلق.. لكن بالنسبة لي، انها تكذب.. لم يقل لي أحد انني لا استطيع الانجاب.

سألها والعذاب في عينيه:

- ما خطبك بالضبط سيلفيا؟ هل هو الربو فقط؟ بحق الله، يمكنك الثقة بي، اريد فقط اسعادك.

- وما يمكن أن يكون هناك سوى الربو؟ ادوارد ارجوك!

لقد قلنا كل ما يجب أن يقال. قلناه حتى قبل أن تقول لاورا ما قالته.. لماذا لا تتقبل واقع انني لا أريد الزواج.. ولأي سبب كان؟

زفر أنفاسه بقوة:

- مصممة على الرحيل إذن؟

- أجل.

- لكنك هذا الصباح قلت..

- هذا كان قبل.

- قبل أن تأتي لاورا؟

- لا.. قبل أن تبدأ الكلام عن الزواج.. اوه ادوارد.. سرعان ما ستنساني.. قلت بنفسك أن هناك أخريات..

رد بعنف قاطع:

- كان هناك.. لكنني لم اهتم بواحدة منهن.. وهذا ما سيعلمني أن أتردد كثيراً وأن لا أكون طائشاً في المستقبل.

واستدار ليترك الغرفة...

انهت توضيب الحقائب بهدوء.. وعلمت أنه لن يعود إلى المنزل إلى أن تذهب هي.. وحملت حقائبها إلى الأسفل بقلب مثخن بالألم.. لقد جاءت إلى هنا للخلاص، وضع مستحيل، لينتهي بها الأمر إلى وضع أكثر صعوبة.

عودتها إلى المكتب رافقه تدفق موسمي للعمل.. خلال النهار، كانت تحاول غمس نفسها مع شؤون الناس.. ولساعات كانت تتمكن من ابعاد افكارها المؤلمة عن رأسها. مع ذلك فقد أخذ منها التوتر مأخذه.

بعد أيام من وصولها، اتصلت بها لاورا.

سيلفيا كانت تتوقع منها هذا.. ردة فعلها الفورية كانت أن تعيد السماعة مكانها دون رد.. لكن لاورا كانت مستعدة لهذا، إذ بادرتها على الفور:

- لقد رأيت ادوارد.

- صحيح؟ ولماذا تقولين هذا لي؟

- اوه.. هيا.. لا تدعي أن هذا لا يهمك، فأنا لن أصدقك. أتودين معرفة سبب مجيئه لرؤيتي؟

- لا.. لكن أله علاقة بوصية جان؟ اعتقد انك اصبحت مالكة الباتروس...

- لا علاقة لجان بالأمر! أتظنين أنه يهتم اذا امتلكت المنزل أم امتلكه هو؟ لا.. مجيئه له علاقة بك..

- بي؟

- أجل.. بك! ألا تريدين معرفة ما كان يريد؟..

واضح أنك اخبرته أن لديك الربو.. الربو؟ صدقاً سيلڤيا، أما كنت قادرة على اختراع شيء آخر؟

- لكنك قلت له الحقيقة.. بالطبع؟

ضحكت لاورا بسخرية، وكان هذا رد يكفي:

- يا عزيزتي! وما عساي أفعل غير هذا؟ اعني.. لم أكن أعرف القصة الحزينة التي أخبرته، وظننته جاء ليعرف التفاصيل فقط. وأنت تعرفين مدى فرصتك لحياة طبيعية.

- وماذا قال؟

- حسناً.. صدم دون شك.. وربما.. ارتاح قليلاً.

- ارتاح؟

- طبعاً حبيبتي.. ألا يمكنك تصور مشاعره؟ لقد طلب منك الزواج، ولا بد أنه ادرك مدى حظه للخلاص منك.

شهقت سيلڤيا لقساوة الكلمات، وحاولت لاورا التعويض

عن الإساءة:

- حسناً عزيزتي.. كان يجب مواجهة الأمر.. أليس كذلك؟

ما من رجل، خاصة برجولة وحيوية ادوارد، قد يرغب في أن يرتبط مع عاجزة لما تبقى من حياته.. ويجب أن أقول أنه ليس كأخيه أبداً. ومن المؤسف أنه كان بعيداً حين التقيت جان. فهو وأنا نتشابه أكثر من تشابهي مع جان، نحن نعرف ما نريد، فنحصل عليه دون تردد. ولا أتصور أنه كان اعطاني الحرية التي وفرها لي جان. لكن لا زال هناك مجال كبير.

- أتعني.. أتعني

- اوه حبيبتي.. لا تكوني سخيفة.. في الوقت الحاضر كل ما يريده شقيق زوجي الوسيم، هو السفر بأسرع وقت ممكن.. لكننا مرتبطان، شاء أم أبى، فجان كان له حصص في شركة المناجم.. وهكذا..

ولم تعد سيلڤيا تعي شيئاً مما تقوله لاورا.. وأحست بالتشتت.. وباكتئاب أكثر مما أحست في كل حياتها.

- سيلڤيا.. سيلڤيا..!

في صوت لاورا قلق ولهفة، وأدركت سيلڤيا أن عليها الرد:

- نعم؟

- اوه.. لا زلت معي.. احمد الله! اردت فقط أن أقول

أمراً آخر:

- ما هو؟

- اوه رؤيتك مجدداً سيلڤيا.

- لا!

- اسمعي! سيلڤيا لا يمكنك لومي على ما حصل.. لم تكن غلطتي.

- أنت ارسلتني إلى هناك.

- لم أكن أعرف بوجود ادوارد.. ظننت جان..

ردت سيلڤيا بصوت مرير:

- جان! مسكين جان!

- لا.. لا سيلڤيا! يا إلهي، لا يمكن أن تظني هذا.. ما من رجل يستاهل.. صدقيني، حتى جان كان يفكر بنوع من الانتقام.. ولقد تملكني الرعب لأنني.. ظننته قد.. قد..

- قد يفعل ماذا لاورا؟

تنهدت:

- حسناً.. اعتقد الأمر لم يعد يهم الآن.. كتب لي.. اعني ادوارد، رسالة، يصف فيها ما يفعله الأسيد على لحم الإنسان!

أحست سيلڤيا بالرعب الحقيقي:

- اوه.. لا! وتركتني.. اذهب..

- كنت أفكر بمهنتي.. حاولي وضع نفسك مكاني.. لو

أنني تشوهت.. ثم ان رجلاً أعمى لا يمكن أن يجيد التصويب.. ثم أن جان كان سيعرفك.. ثم إن هذه كلها افتراضات.. فقد كان ميتاً.

- لكنك لم تعرفي بهذا.

وأعادت السماعة مكانها.. لاورا خالية من أي ضمير.. أنانية، لا يهمها إلا نفسها. لماذا لم تدرك هذا إلا الآن؟ لماذا لم تتمكن من رؤية ما كان الجميعُ يعرفه عنها؟

مرت أوقات خلال الأيام التالية، تملكها اندفاع أن تفضي بأسرارها إلى رئيسها، دايڤد سترايتون.. في عالم كله وجوه عدائية حولها بدا لها الصديق الوحيد..

لكن الزمن كان له طرقه الخاصة لشفاء الجروح.. وما أن حل نهاية الأسبوع التالي حتى كانت قد اقنعت نفسها أن ادوارد بابتعاده السهل عنها، لا يمكن أن يكون، الرجل الذي تصورته.. كيف كان يمكن لها أن تحب رجلاً لا وجود له؟ تساءلت بمنطق.. لكنها سرعان ما وضعت نفسها في الفراش لتنام.. فالحب غير منطقيٍّ أصلاً.

تغير الطقس أخيراً.. وأقبل الربيع بكل طاقاته وشمسه المشوقة.. وانتشر باعة الزهور عند كل زاوية من زوايا الشوارع. واشترت سيلڤيا لنفسها باقة من الزنابق، لتدفن أنفها فيها تشم عبق عطرها محاولة استعادة حبها للأشياء البسيطة البديهية.. وكم بدت لها هذه الأيام بعيدة.. حين كانت تعرف

www.elromancia.com

راحة البال.. أهو تشارلز حقاً من غيّر كل هذا، أم أنه عملية حتمية للحياة؟ إذا كان الألم جزءاً من الحياة، فلماذا تتصور انها منيعة ضده؟

في أحد الأمسيات، وقد مر شهر على كل الأحداث التي مرت بها، وصلت المجمّع السكني الذي تعيش في شقة منه، لتجد سيارة رينو داكنة متوقفة أمام المبنى.. فهزت كتفيها دون اكتراث لرؤيتها.. وغشت عينيها ظلمة مؤقتة لانتقالها من نور الشمس إلى عتمة المدخل، لكنها لاحظت طيف رجل يقف في طريقها، فقفز قلبها إلى حلقها بألم، ومد يده إليها:

مدت يدها إلى ذراعه، محاولة ابعاده عنها بالقدر الذي تبقى لديها من قوة.. كان عليها أن تقاوم الاندفاع للارتماء في احضانه.. مع انها تدرك كم هي عقيمة محاولاتها ستكون لو أنه اختار أن يفرض ارادته.

- ماذا تفعل هنا ادوارد؟ كيف حصلت على عنواني.. ظننت اننا اتفقنا..

- لم نتفق على شيء.. أيمكن أن نذهب إلى مكان أكثر خلوة؟ لدي أشياء كثيرة أقولها لك.

- لا..! ليس هناك ما يقال.. كل شيء قيل.. ارجوك.. أنا متعبة، واحتاج إلى حمام وتغيير ثياب. وأظن أن من الأفضل.. أن تذهب.. الآن.

هز رأسه:

- آسف.. ليس في نيتي أن أذهب إلى أن نحصل على وقت ما لتسوية الأمور.. والآن، هل ندخل شقتك أم اضطر إلى أخذك إلى غرفتي في الفندق؟ الأمر سيّان لدي!

- أهذه سيارتك في الخارج.

- أجل.. لا تدعينا نضيع الوقت حبيبتي.. أنا أعرف بحالة قلبك. وهذا ما أريد أن أكلمك به.. لكن ليس هنا.

- ادوارد.. أنا مسرورة.. لأنك لا زلت تريد رؤيتي.. لكن..

قاطعها بعنف:

- يا إلهي سيلڤيا.. اعطني مفتاحك.. أين هو..؟ في حقيبتك؟

وانتزع منها حقيبتها، وأخذ يفتش عن المفتاح.. وأحست بالعجز.. ولم تستطع مقاومة تصميمه الشديد.. ومن الأفضل لها أن تستسلم.. وكل ما ترجوه أن تكون روحها المعنوية أقوى من جسدها.

وضع ادوارد المفتاح في قفل الباب، فانفتح إلى غرفة جلوس صغيرة.. بالرغم من حجمها الصغير كانت جذابة وكانت مسرورة لعدم اضطرارها إلى الخجل منها.

تنحى ادوارد لتسبقه، ثم لحقها ببطء، واقفل الباب وراءه.. وجوده قزّم الغرفة، وفكرت كم هي محشورة قد تبدو له مقارنة بالغرف التي اعتاد عليها. وسألها:

www.elromancia.com

- هنا تسكنين إذن منذ وفاة والدتك؟

وهي تفكر بحيرة كيف يعرف هذا عنها، تقدم منها وأمسك بكتفيها ليشدها إلى ذراعيه.. وقال وفمه على رأسها:

- لقد مر زمن طويل.. طويل جداً..

وضمها إليه بشغف واشتياق، حتى رفعت رأسها إليه كزهرة تسعى إلى دفء الشمس. أخذت أحاسيسها تطفوا.. وأنفاسها تقصر وتجهد، وكذلك هو.. وتأوه:

- سيلفيا.. لن أدعك تذهبين عني مرة أخرى.. أبداً!

أخذ يدفع خصلات شعرها المبللة بالعرق عن جبينها ومرر اصبعه على صدغها النابض، ثم على خدها الساخن.. وبدا أنه يحصل على كمية كبرى من الاكتفاء لمجرد النظر إلى وجهها. ومع انها كانت معتادة على تفرسه بها إلا أنها لم تستطع إلا أن تحس بالتوتر والإثارة. بماذا يفكر يا ترى؟ هل أخذ يندم على مجيئه إلى هنا؟ وقال لها:

- جئت إلى هنا لأنني أحبك، ولأنني أعرف أنك تحبيني.. ألا تحبيني سيلفيا؟ أيتها الحمقاء.. الغبية المجنونة! هل ظننت حقاً أن حالتك قد تغير مشاعري نحوك!

- بلى.. يجب أن تغيرها.. أدوارد، ليس من حقي أن أتزوج من أحد.

- هذه سخافة.. سأتزوجك.. صدقيني، لا اهتم بما قالته لاورا من سخافات، وما ملأت به رأسك.

- لاورا؟ ماذا قالت لك غير هذا؟

- لا شيء.. لا شيء سيلفيا! تركتني استمر في الاعتقاد أنك مصابة بالربو.. لم تعتقد انني سأبحث عنك.. ولحسن الحظ لم أصدقها!

- لكن.. لكنها قالت..

- وماذا قالت؟ كان يجب أن أعرف أنه ستتصل بك.

- قالت.. انك صدقت.. حين عرفت.. أنني..

- يا للساقطة! ماذا قالت لك بعد؟ هل قالت انها لم تعطني عنوانك؟ وانني اضطررت إلى معرفة العنوان من الرجل الذي حطم زواج أخي؟

- جون لايسي؟ لكن.. لكن..

- ذهبت لرؤيته، وعرفت أنه ابن خال والدك.. ويعرف عنك بقدر ما تعرفه لاورا.. كان لطيفاً معي.. أظنه يشبهك.. ووجدته فاتناً، وقلق عليك حين شرحت له ما فعلته لاورا بك. اخبرته بعض الحقائق، وبدا متفهماً لما أخبرته له.. وربما لم يعد يحس بالتعاطف معها حين علم أنها كانت راغبة في أن أتابع معها من حيث تركت جان.

شهقت سيلفيا:

- ماذا تعني؟

- وماذا تظنين أنني أعني؟

- لم تفعل..

- لا لم أفعل.. ما أحلى طعم الغيرة!

ارتجفت بين ذراعيه.. لا بد أنها تعطيه الكثير.. لكن من حقه التعويض عما فات.. وتابع:

- حسناً.. دعيني اكمل كلامي.. قال لي جون لايسي امراً آخر. أمر قد لا تعرفين به. من الواضح أنك بعد شفائك من الروماتيزم الذي سبب لك ضيق الشريان وأنت صغيرة.. بالغت في حمايتك، وحين بلغت العاشرة عرضت حالتك على اخصائي.

- دكتور ماننغ؟

- أجل دكتور ماننغ.. لكنه رفض اجراء عملية لك، فهو لم يكن يؤمن بالتقنية الحديثة.

- وكيف عرفت هذا؟

- لايسي قال لي.. حتى انه ذهب لرؤية الطبيب يوم أمس وتحدث إلى جرّاح قلب في مستشفى سان جايمس.

- سان جايمس..؟ انها المستشفى التي عولجت فيها!

- اعرف، والطبيب الذي عالجك متقاعد الآن، ولايسي يظن أن الأمر جدير بالمحاولة.

- محاولة؟ اتعني أن هناك فرصة لاجراء العملية الآن؟

تردد ادوارد.. ثم تمتم بخشونة:

- العمليات فيها مجازفة.. فلماذا لا تتقبلين حبي لك كما أنت الآن.

- ادوارد.. ارجوك.. قل لي الحقيقة. هل وجد جون لايسي شيئاً..

- ليس لجون علاقة سيلفيا.. بل نحن فقط..

- ادوارد!

- حسناً.. حسناً.. الجراح يقول انه يعتقد أن بإمكانه مساعدتك.

شهقت:

- اوه.. ادوارد! ألا ترى ما يعني هذا لي. قد تكون فرصة لحياة طبيعية، وليس مجرد معقولة.. أحبك.. وأنت تعرف هذا.. لكن الزواج ليس انصافاً لأي منا.

- إذن.. أنا محكوم بأن أقبل أحد خيارين كلاهما مستحيل..

أما ان اقبل بالمخاطرة.. او افقدك، لمجرد اعتقاد سخيف بأنك ستكونين حملاً عليّ. ولا أظن أنني قادر على تحمل أي من الأمرين.

- لكن الا تعتقد أن لايسي محق بإصراره على العملية؟

- ما اعتقده.. بل أحس به.. أن ما لدينا أكثر أهمية من أية نتيجة عجائبية قد تحدث من وراء العملية..

حسناً.. لن تستطيعي قطع المانش سباحة ولا تسلق جبل! وماذا في هذا؟ ومما سمعته فرصتك أكبر من أية فرصة أخرى، وفكرة تعريض حياتك للخطر.. لأسباب أنانية..

- وستتزوجين.. بالرغم من..

- أنا أحبك.. اللعنة.. وكم اتمنى لو أنني لم أحبك.

- اوه.. ادوارد.. حبيبي ادوارد! سنكون سعيدان معاً.

- ماذا تعني؟

- سأتزوجك.. متى شئت. في الغد إذا أحببت.. كل ما أريده أن أجعلك سعيداً. فأنا عشت مع حالتي لمدة طويلة.. لكن أنت، أنت قوي صحيح الجسم، وظننت لو أنني صحيحة مثلك..

اتفقا على الزواج بعد اسبوعين: زواج هادىء، مع قليل من المدعوين.. ووعدت زوجة خاله العجوز بأن تحضر الزفاف، وهكذا أصبحت سعادة سيلفيا مكتملة.

ثم قبل أيام من الموعد، تلقت اتصالاً من جون لايسي كان مسافراً، كما قال ادوارد.. ربما مع لاورا. لكنه عاد ليمثل عائلتها في الكنيسة الصغيرة حيث ستتزوج.. وبدا جون سعيداً لها لأنها وجدت سعادتها أخيراً.. لكنه كان غاضباً لأنها لم تقابل الجرّاح.

- لماذا لا تستمعي إليه على الأقل.. سيلفيا أنت مدينة لنفسك بهذا على الأقل.

- آسفة جون. لطف منك كل هذا العناء لأجلي.. لكن هذا ما لا يريده ادوارد.. وأنا أحبه كثيراً ولن أخاطر في أن أسبب له الألم.

بعد ظهر اليوم التالي، كان لدى ادوارد مفاجئة لها.

- هناك شخص أريدك أن تقابليه.

وأخذها بالسيارة دون أي شرح آخر.. لكن حيرتها ازدادت حين اتجه بها نحو المستشفى، فاستدارت إليه.

- ادوارد..

- سمعت ما قلته لجون لايسي يوم أمس.. وعرفت أنني لن يرتاح لي بال إلى أن يفحصك اخصائي... أو إلى أن أقنع نفسي بأن ما نفعله صحيح. افعلي هذا لأجلي.. ثم نتحدث بكل شيء.

الفحوصات التي اخضعها الجراح لها، كانت كاملة ومتعبة.. وأخذت وقتاً طويلاً.. أو على الأقل هذا ما بدا لسيلفيا.. إلا أن الطبيب بدا راضياً عن النتيجة.. بعد أن اعادت ارتداء ثيابها، جلس عدة دقائق ينظر إليها فقط.. ثم قال بهدوء:

- طبيعي أنني كنت أفضل أن تبقي في المستشفى لفحص آخر ليلي ولأعطاء الوقت الكافي للفحوصات المخبرية.. لكن مما عرفته استطيع القول أنك في حالة معقولة.

- صحيح؟

هز رأسه:

- اجل.. وبشكل مدهش، نظراً لحالتك.

وابتسم امام ذهولها، ولم تعرف بماذا ترد عليه.. كل

نقاشها حول حالتها لم تعد تزعجها، وسألته:

- وبالنسبة للحمل؟

- جهازك الانتاجي سليم وفعال كأي امرأة أخرى.. ستتزوجين بعد أيام.. اليس كذلك؟

- اجل.. لكن..

- الا تريدين اطفالاً؟

شدت يديها على بعضهما:

- اوه.. بلى.

- اه.. أنت قلقة بالنسبة لحالتك.. حسناً، لا أظن أن قلقك ضروري، طالما اعتنيت بنفسك.. اظنك ستعيشين في جنوب فرنسا.. كما عرفت.. وأنا اعرف هناك طبيباً يعمل في مستشفى جامعة ليون، واستطيع تدبير أمر عنايته بك، حين تحملين.. إذا رغبت.

لعقت سيلڤيا شفتيها:

- و.. العملية؟

- ليست ضرورية الآن.. لكن لا تقلقي.. عودي لمقابلتي بعد أول طفل تنجبيه.. هذا إذا كنت لا زلت راغبة.

لا تبدي السعادة هكذا.. لو أن كل مرضاي مثلك، لبقيت دون عمل.

وابتسم لها.. واستطاعت أن تعرف من وجه ادوارد المنتظر أن الانتظار وترّ أعصابه.. وحين اصبحا في السيارة زفت إليه

الخبر لتريحه.

- لن تجري العملية.. لكن شكراً لك لهذه الفرصة.. لا تعرف تماماً ما تعني بالنسبة لي.

أمسك يدها بيده، ورفعها إلى فمه ثم وضعها على وجهه.

- وماذا قال لك؟

- قال انني في حالة ممتازة، وأنني قادرة حتى على الإنجاب.

- ماذا؟ اوه يا الهي.. صحيح!

- اجل.. والأكثر أنه قال ان لا سبب مطلقاً يمنعني من الإنجاب قدر ما أريد.. وسيصلني بطبيب في ليون، يتولى العناية بي عند الضرورة.

هز رأسه غير مصدق:

- لكنني كنت اعتقد.. اوه سيلڤيا.. هل ترغبين حقاً أن يتم لنا هذا؟

- لماذا.. الا تريد الأطفال؟

ضحكته كانت ضحكة مصدومة:

- اوه حبيبتي.. تعرفين أنني أريد ما تريدين، ولا يمكن أن أفكر بأمر مبهج أكثر من ابنة تشبهك.. لكن..

- دون لكن.. ويجب أن أشكر لاورا لكل هذا.. اتساءل ما ستكون ردة فعلها حين تعرف؟

- في الواقع.. لقد اسدت لنا خدمة كبيرة.

www.elromancia.com

- اجل.. على الأقل، اعرف الآن انني لست عاجزة أو مريضة.. بل قادرة أن اكون زوجة قادرة كفؤة لك.

- اوه.. سيلڤيا

وربت انفها باصبعه ممازحاً:

- لم يكن عندي أدنى شك في هذا!

وتحولت خديها إلى اللون الزهري وهي تضع رأسها على كتفه، ويدير محرك السيارة.

* * *

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة